المثلث الذهبي

محمود سالم

المثلث الذهبي

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

المثلث الذهبي

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٥ ٢٦٤١ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٢.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
«شو-لان» ... الرجل الأسطورة	١١
تساءل «أحمد»: هل هذه هي البداية؟	١٧
عندما غرق «مصباح» في الضحك	٢٣
هذه هي بداية المعركة	٢٩
أخيرًا ... جاءت لحظة المواجهة	٣٥
«شو» يتحدَّث إلى «أحمد»	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

«شو-لان» ... الرجل الأسطورة

كان الشياطين في طريقهم إلى المقر السري بعد أن وصلتهم رسالة رقم «صفر»، التي يطلب منهم العودة بسرعة. كانوا قد انتهَوا من مغامرة «العميل»؛ لذا فلم ينتظروا وعادوا فورًا. لم يكُن أحدٌ منهم قد استطاع الوصول إلى إدراك معنى هذه السرعة، إلا أن «أحمد» قال في هدوء: لعلها مغامرةٌ جديدة تحتاج أن نبدأها. ولم يعلِّق أحد ... إلا أنهم كانوا ما زالوا يفكِّرون؛ فهذه أول مرة يستدعيهم فيها رقم «صفر» فور الانتهاء من المغامرة.

ظهرت من بعيد أبواب المقر السري الصخرية التي لا يعرفها سوى الشياطين؛ فلا أحد يستطيع أن يتبيَّنها من بين الكتل الصخرية ... كان كل شيء يبدو هادئًا صامتًا؛ الجبال التي تحيط المقر بشموخها وقوتها، والشمس بحرارتها اللافحة، وإن كان الشياطين لا يُحسُّون بها الآن لأن سيارتهم مكيَّفة الهواء.

كان المنظر يبدو وكأنها صحراء لا يسكنها أحد، ولا يعيش فيها أحد، وإن كانت أعماقها تضج بالحركة داخل المقر السري ... عندما اقتربوا تمامًا بدأت البوابات الصخرية تُفتح في هدوء، كانوا قد تعدَّوا حاجز المرور الإلكتروني الذي يُعطي إشارة فتح البوابات. وفي سرعةٍ تجاوزوا البوابة الضخمة إلى أعماق المقر. وعندما توقَّفت السيارة التي كان يقودها «أحمد»، قفز الشياطين بسرعةٍ وانطلقوا إلى المقر. كان بقية الشياطين في انتظار وصولهم، تردَّدت التحيات وأخذ الجميع طريقهم إلى قاعة الاجتماعات؛ فقد كانت الساعة تشير إلى الرابعة تمامًا، نفس الموعد الذي حدَّده رقم «صفر» في رسالته إلى الشياطين.

عندما أخذوا أماكنهم في القاعة الهادئة الضوء، جاء صوت رقم «صفر» يُرحِّب بهم، ثم يقول: لقد وصلتم في موعدكم تمامًا! ثم اختفى صوته. مرَّت لحظات، ثم أُضيئت الخريطة الإلكترونية، وكان الشياطين في انتظار أن تظهر. كانت الخريطة كثيرة التفاصيل، غير أن

ثلاث مساحات مُحدَّدةً هي التي كشفت كل شيء. كانت المساحات الثلاث لدولٍ آسيوية متجاورة؛ هي «تايلاند»، و«لاوس»، و«بورما».

إن حدود الدول الثلاث تلتقي عند نقطةٍ جبلية واحدة، فتكون معًا مشتركات في حدودٍ واحدة تشبه المثلَّث. ظلَّ الشياطين يرقبون الخريطة التي لم تظهر لها تفاصيل أخرى، غير أن دائرةً حمراء جمعت نقطة التقاء الحدود في سرعة، ثم امتلأت الدائرة باللون الأخضر. فكَّر «أحمد» بسرعة وبدأ يستعيد معلومات قرأها عن هذه المنطقة. كانت أعين الشياطين تلتقي وتفترق، إلا من «أحمد» الذي ظلَّ مستغرقًا في شروده يتذكَّر ... إن هذه المناطق كما يذكر «أحمد» مشهورة بجمال طبيعتها، حتى إنه يُطلِق عليها بلاد الشمس المشرقة. تذكَّر الأسواق العائمة في «تايلاند»، وتذكَّر المعابد البوذية الجميلة، وتمثال «بوذا» الضخم المصنوع من الذهب الخالص، ثم توقَّف عند هذه النقطة؛ إنه يتذكَّر تلك السرقة المشهورة لواحدٍ من تماثيل «بوذا»، وكيف أن البوليس الدولي قد تدخَّل حتى عثروا على التمثال. قال في نفسه: هل تكون هناك سرقة أخرى من هذا النوع؟ ظل يفكِّر في عملية السرقة، لكنه تذكَّر فجأةً أنه قرأ عن زراعة المخدِّرات في تلك المناطق. قال في نفسه: إن هذه يمكن أن تكون مغامرةً ممتعة، في تلك المناطق المجهولة! ظلَّ يتذكَّر ما يُزرع هناك، والمنطقة التي يسيطر عليها رجلٌ واحد، يقود جيشًا من العاملين معه يصل إلى ستة آلاف رجل، وكيف يكسب من هذه الزراعة ملايين الدولارات؛ فهو يزرع أشجار الخشخاش التي يُؤخذ منها الأفيون، هذه المادة المخدِّرة القاتلة، التي يمكن أن تقضي على أي إنسان. مرةً أخرى تذكَّر «حرب الأفيون» التي استُخدمت ضد الصينيين فجعلتهم شعبًا مُخدَّرًا، كسولًا ... قال في نفسه: إن هذا الرجل يزرع الموت، والقضاء على هذه الزراعة ضرورة من أجل إنقاذ الإنسان. فكَّر مرةً أخرى: إنه لولا الثورة الصينية التي حرَّرت الصين، والتي أنقذت الإنسان الصيني؛ لظل مُخدَّرًا كسولًا ... مُستعمَرًا في نفس الوقت. كان الشياطين يراقبونه وهو مستغرقٌ في أفكاره. إنهم يعرفون أن «أحمد» يستطيع، كما استطاع في مراتٍ سابقة، أن يعرف شيئًا عن المغامرة القادمة، عن طريق استنتاجاته. هذه المرة يرونه مستغرقًا تمامًا، بما يعني أنه قد استطاع أن يصل إلى شيءٍ ما. همست «ريما» وهي تبتسم: إلى أين سوف نطير هذه المرة؟

لم يسمَع «أحمد» ما قالته، في نفس الوقت كان قد نظر إلى الخريطة في تركيزٍ شديد، حتى إن «زبيدة» قالت: إن «أحمد» لم يسمَع ما قالته «ريما».

التفت إليهم فرآهم جميعًا ينظرون إليه، قال مبتسمًا: ماذا هناك؟

قال «فهد»: فكَّرنا أن ننصرف للعمل.

فهم «أحمد» ماذا يقصد، وعندما فكَّر في التعليق كان صوت رقم «صفر» قد سبقه قائلًا: إن ما يقوله «فهد» صحيح. صمت لحظة، ثم قال: إن ما تفكِّر فيه هو تمامًا ما كنت سأتحدَّث فيه إليكم، إنني فقط سوف أُضيف بعض الأشياء. عندئذٍ اختفى صوت رقم «صفر»، فقال «خالد»: حدِّثنا حتى يعود الزعيم.

نظر إليهم «أحمد» وهو يبتسم، ثم قال: لقد فكَّرت في أكثر من شيء، ولا أدري أيها الذي سوف يتحدَّث فيه الزعيم.

قالت «إلهام»: إذن، حدِّثنا عمَّا فكَّرتَ فيه.

كانوا جميعًا قد بدءوا يلتفتون فعلًا إلى «أحمد»، إلا أن صوت أقدام رقم «صفر» التي كانت تقترب جعلهم يصمتون في انتظار حديث الزعيم.

مرَّت لحظات ... كان صوت الأقدام خلالها يقترب حتى توقَّفت تمامًا، ثم جاء الصوت: لقد فكَّر «أحمد» في المغامرة بنجاح، وهو كثيرًا ما يفعل ذلك ... إنني سوف أتحدَّث إليكم عن تفاصيلها؛ فهو قد فكَّر في موضوعها فقط. سكت الصوت قليلًا، ثم عاد يقول: إن تقارير عملائنا في أوروبا تقول إن عيادات ومستشفيات العلاج لمدمني المخدِّرات قد زادت نسبة المرضى فيها، وإن الأسواق الأوروبية قد امتلأت في الفترة الأخيرة بأنواعٍ من الأفيون، الهيروين، بكمياتٍ كبيرة. وأنتم تعرفون أن الهيروين وهو مادة تشبه البودرة، ويُؤخذ من نفس النبات الذي يُصنع منه الأفيون، يُعتبر من المواد المخدِّرة القاتلة؛ فمن يُجرِّبه مرةً لا يستطيع أن يتخلَّص منه أبدًا. وهذا كلها مواد تؤدِّي إلى الاسترخاء التام حتى تصل إلى حد البله، ثم الجنون. لقد زادت نسبة المرضى الذين أدمنوا هذه المواد المخدِّرة، وهي في النهاية عملية قتل للإنسان. وهؤلاء يتاجرون في هذه السموم، ولا يُهمهم سوى الربح فقط. ومن تقارير عملائنا في شرق آسيا قالت الدراسات التي أجراها مركزنا إن الكميات التي أغرقت أسواق أوروبا قد خرجت من هناك، وإن هناك منطقةً يسمُّونها «المثلث الذهبي» هي التي تزرع هذه النباتات. إن «المثلث الذهبي» يظهر أمامكم على الخريطة، تغطِّيه الدائرة الحمراء. وقد سُميت هذه المنطقة بـ «المثلث الذهبي» لأنها تعطي مكاسب ضخمة، وكأنها تجارة الذهب، ثم هي تقع في منطقةٍ مثلثة تجمع ثلاث دول، وأن حدود هذه الدول تشترك في منطقة «المثلث الذهبي»، وهذه المنطقة تمثِّل مساحات ضخمةً من الأرض يسيطر عليها رجلٌ يُدعى «شو-لان»، أو كما يسمُّونه «ملك الأفيون»، وهو يسيطر على قوةٍ كبيرة تصل إلى ستة آلاف رجل يعملون في زراعة السموم، ويحملون أسلحةً متقدِّمةً الصنع، ولا جدال

في أن خلف هذه الزراعة قوًى عالميةً تغذِّيها وتنشرها، كنوع من إفساد الشعوب، كما حدث في الصين قديمًا. ثم صمت رقم «صفر» قليلًا، بينما كان الشياطين يتابعون ما يقوله في تركيزٍ شديد؛ فهذه أول مرة يتعرَّضون فيها لمغامرةٍ من هذا النوع، كما أن هذه أول مرة يذهبون فيها إلى هذه الأماكن البعيدة المجهولة. عاد رقم «صفر» إلى الحديث وقال: لقد حدثت محاولات كثيرة للقبض على «شو-لان»، لكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل، ولا أحد يعرف أوصاف هذا الرجل الداهية الذي يقود ستة آلاف. إن هؤلاء الرجال الذين يعملون معه مرتبطون به ارتباطًا كبيرًا، حتى إن الإغراءات التي قُدمت لبعضهم، برغم ضخامتها، لم تجعَل أحدًا منهم يتخلَّى عن «شو-لان»!

صمت رقم «صفر» مرةً أخرى، بينما كان الشياطين يتبادلون النظرات. إن أفكارهم كانت تدور حول هذا الرجل الغريب «شو-لان»، الذي لا يعرف أحدٌ عنه شيئًا. إنه يبدو وكأنه أسطورة يتحدَّثون عنه دون أن يراه أحد. جاء صوت رقم «صفر» مرةً أخرى يقول: إن مهمتنا هي التخلُّص من «شو-لان» ... إمَّا بالقضاء عليه، أو القبض عليه حيًّا.

صمت رقم «صفر» بعد هذه الجملة، وفهم الشياطين مهمتهم؛ إن القضاء على «شو-لان» هو مغامرتهم الجديدة، والقضاء عليه ليس عملًا سهلًا؛ إنهم سوف يبحثون عن رجلٍ لا يعرف عنه أحدٌ شيئًا. لكن ذلك لم يكن عمليةً مستحيلةً أمام الشياطين؛ فهم لا يعترفون بالمستحيل، إن القاعدة التي يعملون بها هي: إن كل شيء ممكن، حتى لو بدا مستحيلًا. قطع تفكيرهم صوت رقم «صفر» قائلًا: إن تلك المناطق تسكنها قبائل «الإيكوس»، وأنتم تستطيعون الاستفادة من هذه القبائل. إنهم يعيشون في مناطق قد تكون صعبة، لكن الشياطين لا يقف أمامهم شيء صعب. صمت لحظة، ثم أضاف: يجب أن تكونوا مستعدين للطقس هناك، وأن تكون معكم مبالغ طيبة من عملة «الباث» التي يستعملونها، و«الباث» يساوي خمسة قروش مصرية. هذه أول مرة تذهبون إلى هذه المناطق، لكنكم سوف تستمتعون بها تمامًا؛ فهي مناطق جميلة بالتأكيد، غير أن الأجمل أنكم سوف تقدِّمون للإنسانية عملًا عظيمًا، كأعمالكم دائمًا. سكت لحظة، ثم قال: إنني في انتظار أسئلتكم.

مرَّت فترة صمت، كان رقم «صفر» ينتظر خلالها أسئلة الشياطين، وكانوا هم بلا أسئلة ... إن ما كانوا يفكِّرون فيه هو الانطلاق الآن إلى تلك الأماكن المجهولة، وإلى البحث عن «شو-لان». طالت فترة الصمت، فقال: أتمنَّى لكم التوفيق.

أخذت أصوات أقدامه تبتعد حتى اختفت، غير أن الشياطين ظلوا في أماكنهم فترةً من الوقت. كانت الخريطة الإلكترونية ما زالت مُضاءة، وكانوا يتأمَّلون التفاصيل القليلة

التي ظهرت عليها. فجأةً اختفت الدائرة الحمراء، وظهر مثلثٌ يحدِّد المكان. خرجت ثلاثة أسهم تشير إلى عواصم الدول الثلاث؛ «تايلاند» وعاصمتها «بانكوك»، و«بورما» وعاصمتها «رانجتون»، و«لاوس» وعاصمتها «هانوي» ... مرةً أخرى اختفت التفاصيل، ثم ظهرت تفاصيل أكثر توضِّح تضاريس المكان، كانت الجبال المرتفعة تبدو وكأنها نوعٌ من التحدي، غير أن الجبال كانت تعلوها خضرة؛ بما يعني أنها مزروعة. ظهر نهر «ماي-كو» الذي يصب في نهر «الميكونج»، وكانت جبال «يون-آن» ترتفع عند الحدود المشتركة. خرج سهمٌ سريع وظهر اسم قبائل «الإيكوس» التي تعيش في الجبال، والتي تَحدَّث عنها رقم «صفر».

قالت «إلهام» تقطع الصمت: إن هذه الأماكن مرتفعة الحرارة تمامًا. فقالت «زبيدة»: لاحظوا أن المياه لا تنقص في هذه الأماكن؛ فبجوار الأمطار هناك خليج «البنغال» الذي تُطل عليه «بورما»، وهناك خليج «سيام» الذي تُطل عليه «تايلاند».

مرَّت لحظة صمت. كان الجميع لا يزالون يتأمَّلون الخريطة التي وُضِّحت فيها تفاصيل كثيرة، غير أن «عثمان» قال: إن المنطقة تقع في المنطقة الاستوائية؛ وهذا يعني جغرافيًّا أنها شديدة الحرارة كثيرة المطر؛ فهي تقع بين خطَّي عرض صفر و٢٠ درجة، كما أنها تقع بين خطَّي طول ٩٠ و١١٠ درجة؛ أي إن خط الاستواء يقطع المنطقة بالعرض. صمت الجميع مرةً أخرى، وكان كل ما يقولونه يظهر في تفاصيل الخريطة.

نظر «أحمد» إليهم نظرةً سريعة، ثم قال: أظن أننا نملك معلوماتٍ طيبةً عن هذه المنطقة. إن أرشيف المقر يمكن أن يقدِّم لنا معلوماتٍ إضافية. قال ذلك، ثم وقف في هدوء، وبدأ يخرج من مقعده، فبدأ الشياطين يتحرَّكون خارج مقاعدهم، ثم اتجهوا مباشرةً إلى خارج قاعة الاجتماعات التي أخذت أضواؤها تخفت شيئًا فشيئًا حتى أظلمت تمامًا، مع خروج آخر واحدٍ من الشياطين. اتجهوا مباشرةً إلى القاعة الصغرى حتى تصل إليهم التعليمات الأخيرة من رقم «صفر». كانت القاعةُ مضاءةً بأضواءٍ خافتة هادئة تميل إلى الأزرق. كان كل واحد منهم يحلم أن تكون المغامرة من نصيبه، لكن لم يكن أيهم يعرف من الذي سيقع عليه الاختيار. أخذوا أماكنهم في القاعة أمام الشاشة الصغيرة يشاهدون عليها الأفلام الخاصة بهم، والتي تحمل إليهم تعليمات رقم «صفر».

لم تمضِ لحظات حتى ظهرت أسماء المجموعة التي ستقوم بالمغامرة، كانت المجموعة تضم: «أحمد» و«فهد» و«باسم» و«مصباح» و«رشيد». وعندما التقت أعينهم كانت السعادة تلمع على وجوه المجموعة. وأسفل الأسماء كانت هناك جملة واحدة تحدِّد وقت الانطلاق، كانت الجملة: التحرُّك في الخامسة صباحًا.

نظر «أحمد» في ساعة يده، ثم قال في نفسه: إنها ساعاتٌ كافية للنوم هذه الليلة.

وفي لحظات كان كلٌّ منهم قد أخذ طريقه إلى حجرته، وقال «أحمد»: إلى اللقاء في الخامسة إلا الربع ... هناك!

تساءل «أحمد»: هل هذه هي البداية؟

كان المقر السري هادئًا تمامًا عندما فتح «أحمد» عينَيه وألقى نظرةً على ساعته التي كانت تلمع في الظلام. كانت الساعة تقترب من الرابعة، فكَّر قليلًا: هل يجب أن أوقظ الشياطين؟ لكنه لم يقطع في الأمر. كان الوقت لا يزال مبكِّرًا على إيقاظهم، هناك نصف ساعة على الأقل يمكن أن يناموها؛ فلا أحد يدري متى يمكن أن يناموا مرةً أخرى، إن الرحلة طويلة، وهناك! من يدري؟ ... فقد تبدأ المغامرة في أي لحظة. قفز من سريره في نشاط، ثم أخذ يؤدِّي بعض التمرينات الخفيفة كعادته عندما يصحو من النوم، في النهاية دخل الحمَّام المُلحق بالحجرة، فأخذ دشًّا باردًا، وعندما كان يرتدي ثيابه كانت الساعة تشير إلى الرابعة والثلث.

أخذ يُعِد حقيبته الصغيرة بكل ما يمكن أن يلزم في هذا المكان البعيد. فجأةً انبعثت موسيقى هادئة من جهاز التليفون، فعرف أن الشياطين قد استيقظوا. رفع السمَّاعة فجاءه صوت «باسم» يقول: صباح الخير، هل أنت مستعد؟

ابتسم «أحمد» وأجاب: تقريبًا، هل أنت مستعد؟ جاءه صوت باسم: لقد استيقظت قبل الرابعة بقليل.

ابتسم مرةً أخرى؛ فقد كان الموعد نفس الوقت الذي استيقظ فيه.

سأل: هل الشياطين جاهزون؟

جاءه صوت «باسم»: إن الجميع في الانتظار.

قال: لقاؤنا بعد خمس دقائق في القاعة الصغرى.

وضع السمَّاعة وهو يهمس لنفسه: لقد استيقظ الشياطين في نفس الموعد، إنهم دائمًا مستعدون.

أخذ يضع باقي الأشياء في الحقيبة، ثم أخذ طريقه إلى القاعة الصغرى. كان الشياطين في الانتظار، ألقى عليهم تحية الصباح، ثم جلس بينهم، وكان طعام الفطور في الانتظار هو الآخر، كان عبارةً عن مجموعةٍ من السندوتشات مع كوب من الشاي باللبن. عندما انتهَوا من الفطور ظهرت كلمات على شاشة القاعة: «رقم «صفر» يتمنَّى لكم صباحًا طيبًا، ويرجو لكم مغامرةً ناجحة، ككل المغامرات السابقة». كانت هذه الكلمات تعني انطلاقهم، بسرعة أخذوا طريقهم إلى «الجراج» حيث توجد السيارات … كان المقر لا يزال نائمًا، إلا من صوتٍ هادئ لكثيرٍ من الآلات التي تعمل ليل نهار، والتي تتلقَّى الرسائل من عملاء رقم «صفر» في جميع أنحاء العالم. في لحظاتٍ كانوا يأخذون أماكنهم في السيارة «الكامارو» الزرقاء. جلس «رشيد» إلى عجلة القيادة وبجواره «أحمد»، بينما أخذ الباقون أماكنهم في الكرسي الخلفي. أدار «رشيد» المحرِّك، ثم انطلق في هدوء. أرسل «أحمد» إشارةً إلى العقل الإلكتروني الذي يحكم الأبواب الصخرية، كانت الإشارة عبارةً عن ثلاثة أحرف: «ل. أ. ن». وكانت تعني اسم «لان»، المقطع الأخير من اسم ملك الأفيون «شو-لان». في دقائق كانوا قد قطعوا الممر الطويل، فانفتحت الأبواب الصخرية لتمرق السيارة كالصاروخ وهي تغادر المقر السري في طريقها إلى مغامرة «المثلث الذهبي».

كان الليل شديد الظلام يطمس معالم الطريق لولا ضوء السيارة القوي، ولم يكن هناك صوت، ولا إنسان؛ ولذلك فقد كان «رشيد» ينطلق بالسيارة في سرعةٍ كبيرة تتجاوز المائتي كيلومتر في الساعة، لكن الشياطين لم يكونوا يشعرون بشيء؛ فقد كانت «الكامارو» الزرقاء مغلقةً بطريقةٍ تمنع «تسرُّب» أي صوت إليهم. كانوا قد ناموا نومًا عميقًا؛ ولذلك فقد كان النشاط يظهر على وجوههم، وربما يكون نوعٌ من السعادة هو الذي يلمع في عيونهم، حتى إن «فهد» قال في ارتياح: ربما لأول مرة أشعر بهذه السعادة الغامرة.

قال «مصباح»: إنها السعادة في لقاء المجهول.

أضاف «فهد»: لعلها السعادة لنوع المغامرة الجديد.

مرةً أخرى عاد الصمت، فاستغرق كلٌّ منهم في تفكيره الخاص، ولم يكَد النهار يظهر حتى همس «أحمد»: ما أمتع الصباح! إن أجل شيء في الوجود أن تبدأ الحياة هكذا مبكِّرًا.

كان الصباح رائعًا فعلًا، لقد بدأت أشجار النخيل تحف جانبَي الطريق، فتبدو كعمالقةٍ وقفوا في حراسة شيء غير معروف، بينما ظلَّ الشياطين يرقبون كل شيء حولهم في متعة.

لم تكَد الساعة تتجاوز التاسعة حتى كانوا عند بوابة المطار الخارجية. نظر «أحمد» في ساعة يده، ثم قال: أمامنا نصف ساعة فقط حتى تُقلع الطائرة، إن هذا وقت كافٍ. نظر حوله، ثم غادر السيارة فتبعه الشياطين.

كانت الحركة أمام المطار توحي بنشاطه الداخلي، وكان هناك رُكَّابٌ قادمون، ورُكَّابٌ قد وصلوا لتَوِّهم، وكان كثيرٌ من المودِّعين والمستقبلين يزحمون الساحة الواسعة أمام المطار. غادر «رشيد» السيارة، ثم دفع الباب في رفقٍ فأُغلقت جميع الأبواب. كان «أحمد» يعرف أن هناك من سيأخذ السيارة إلى حيث تعود مرةً أخرى إلى المقر السري. تحرَّكوا في هدوءٍ إلى داخل المطار، واشترى «باسم» عددًا من الصحف والمجلات، ثم لحق بهم. وعندما كانت خمس دقائق فقط هي الباقية، كان الشياطين يأخذون طريقهم إلى الطائرة التي كانت تربض قريبًا من باب المطار الداخلي. في نفس الوقت كانت أصوات المذيعات داخل الصالة الواسعة تُعلِن عن وصول طائرة، أو مغادرة طائرة أخرى. وعندما وضعوا أقدامهم داخل الطائرة كانت دقيقة واحدة قد بقيت على ساعة الرحيل. كانت الطائرة من نوع «البوينج». نظر الشياطين إلى المقاعد المزدحمة بالركَّاب، ثم أخذوا طريقهم إلى مقاعدهم، كان كل واحد يجلس في مكان، وهذه دائمًا عادة الشياطين؛ فالقاعدة التي يعملون بها: إن السفر خير طريق لجمع المعلومات.

كانت أول محطة نزول للطائرة في مطار بيروت، وكانت الثانية في «نيودلهي» بالهند، بعدها سوف ينزلون في «بانكوك»، التي تُعتبر أول خطوة في المغامرة داخل «تايلاند»، واحدة من الدول الثلاث التي تشترك في «المثلث الذهبي»، ولأن الرحلة كانت طويلة؛ فقد أخرج «أحمد» كتابًا دقيق الحجم عن شرق آسيا، ظلَّ يقلب صفحاته، حتى توقَّف عند صفحةٍ بعينها، ثم بدأ يقرأ. كانت الفقرة التي يقرؤها عن زرعة الأفيون في المناطق التي سيذهبون إليها. قرأ بعضَ الوقت، ثم أغلق الكتاب وشرد. كان يفكِّر في تلك اللحظات التي تحدَّث عنها الكتاب، لحظات الفجر، حيث يبدأ العاملون في زراعة السموم عملهم. إن جمع المادة الطرية من هذا النوع من الشجر، لا يَتم إلا في الفجر. ظهرت الدهشة على وجهه، وتردَّدت في خاطره كلمات: إن هؤلاء الناس يُسيئون إلى جمال الفجر وعظمته؛ ففي الوقت الذي يبدأ فيه الوجودُ الحياة، يبدأ هؤلاء في جمع السموم. أيقظه من شروده هزةٌ قوية، نظر من النافذة القريبة منه، فعرف أنهم وصلوا إلى مطار «بيروت». نظر في اتجاه الشياطين فوجدهم جميعًا يتحدَّثون مع جيرانهم. علت وجهَه ابتسامة وهو يقول في نفسه: إن السفر خير وسيلة لجمع المعلومات.

انقضى وقت الترانزيت، حيث تبقى الطائرة بعض الوقت في المطار؛ إمَّا لاستكمال الوقود، أو لحمل رُكَّاب جدد في طريق رحلتها. ومن جديد أدارت الطائرة محرِّكاتها، ثم أخذت طريقها إلى الفضاء. شعر «أحمد» بدفء جهاز الاستقبال، فعرف أن هناك رسالةً من أحد الشياطين. استقبل الرسالة، وكانت بدايتها حرف «م»، وهو الحرف الحركي لـ «مصباح» في المغامرة. قالت الرسالة: «يبدو أنني في بداية طريقٍ طيب». أرسل رسالةً له: «استمر!»

مرَّت لحظات، ثم بدأت رسائل أخرى، كانت رسالة «فهد» تقول: «المعلومات غزيرة، محدثي شخصية غامضة أعتقد أنها سوف تُفيدنا كثيرًا».

وقالت رسالة «باسم»: «إنها مجرَّد تسلية. لا شيء هناك».

وكانت رسالة «رشيد»: «طريق صعب. زميل كثير الصمت».

عرف «أحمد» خريطة تحرُّك الشياطين داخل الطائرة مع زملائهم من الركاب، قال في نفسه: لعل «مصباح» و«فهد» يصلان لشيء.

استغرق في الكتاب مرةً أخرى وإن كانت عيناه ترقبان في ذكاءٍ حركة الراكب بجواره. كان الراكب شابًّا صغير السن، ويبدو عليه الذكاء الحاد؛ فقد كانت حركته بحساب، وقد ظلَّ صامتًا طوال الفترة السابقة منذ غادرت الطائرة أول مطار، غير أن حركاته الأخيرة جعلت «أحمد» يعرف أنه أمام بدايةٍ طيبة لزميلٍ هام، قال في نفسه: هل يمكن أن يكون أحدهم؟ تشاغل باستغراقه في القراءة وإن كان يفكِّر بسرعة. كان يفكِّر في طريقةٍ يبدأ بها الحديث معه، لكنه قال في نفسه: إن هذه قد تكون طريقةً مكشوفةً وساذجة. ظلَّ لحظاتٍ يفكِّر، ثم وقف في هدوء، ووضع الكتاب مقلوبًا وغادر المكان. دخل حمام الطائرة، ثم أرسل رسالةً سريعةً إلى «فهد»، كانت الرسالة تقول: «راقب زميلي ... هل أخذ الكتاب؟»

أرسل «فهد» الرد: «إنه لا يظهر جيدًا». انتظر «أحمد» لحظة، كان يفكِّر: إنه يريد أن يعرف إن كان جاره في المقعد قد أمسك الكتاب أم لا. لم تمرَّ لحظات حتى كان هناك دق على الباب، عرفه في الحال؛ لقد كانت دقات الشياطين. فتح الباب وخطا إلى الخارج، فوجد «فهد» أمامه، قال بسرعة: لقد أخذ الكتاب. ابتسم «أحمد» وهمس: إذن، إنها البداية!

ثم سأل «فهد»: ماذا عن الشخصية الغامضة؟

قال «فهد»: يبدو أنه في طريقه إلى نفس المهمة؛ للبحث عن «شو-لان»، لكنه يخفي ذلك، ويبدو أنه أحد رجال الشرطة الدوليين، لكنه لا يفصح عن شخصيته؛ فهو يدعي أنه في طريقه إلى رحلة فقط لأنه يهوى الشرق، لكنه يملك معلوماتٍ بلا حدود عن المنطقة.

قال «أحمد» بعد لحظة: استفِد منه، وتجاهل أنك تفهم أنه شرطي؛ حتى لا تفقده.

قال «فهد»: إنني أفعل ذلك فعلًا.

ضغط «أحمد» يد «فهد»، ثم أخذ طريقه إلى مقعده بشكلٍ مفاجئ.

ابتسم ابتسامةً لا تظهر، عندما وجد شريكه في المقعد مستغرقًا في القراءة قال بصوتٍ خفيض: آسف، يبدو أنني سوف أقطع عليك متعة القراءة. وضح أن الشاب قد فوجئ بوجود «أحمد»، فابتسم خجلًا وهو يقول: بل إنني الذي أعتذر، لقد أخذتُ الكتاب دون إذن منك!

قال «أحمد» مبتسمًا وهو يجلس: لا بأس ... إنه كتابٌ مثير.

ردَّ الشاب: فعلًا إنه كذلك.

قال «أحمد»: اسمح لي أن أقدِّم لك نفسي، «مانجا» من السنغال، غير أن أبي ليس من هناك؛ ولذلك فلوني مختلف، وهذه مسألةٌ تثير دهشة الكثيرين. صمت «أحمد» قليلًا، لقد فتح بذلك مجالًا واسعًا للحديث؛ فهو أفريقي من السنغال، وهذا يعني أنه يحمل كل صفاتهم وملامحهم، إلا أنه مختلف الملامح فعلًا، وهذه مسألة تُثير جاره بالتأكيد، وهذا ما حدث.

فقد بدأ جاره سيلًا من الأسئلة عن السنغال، وعن شعب السنغال، وقد قدَّم له «أحمد» مادةً غزيرةً عن السنغال، وشهرتها، ولكنه قطع حديثه في لحظة وقال: هل أتعرَّف إليك؟ ابتسم الشاب وهو يقول: إنني أعتذر مرةً أخرى، لقد أثارني في الحقيقة ما قلته حتى إنني نسيت أن أقدِّم لك نفسي. صمت لحظة، ثم أضاف: «جارو» من اليونان، أعمل مع والدي الذي يشتغل بالتجارة، ثم صمت «جارو»، فقال «أحمد»: وهل أنت في مهمَّة عمل تجارية؟

ردَّ «جارو»: إنني أقوم فقط بجولةٍ في السوق الآسيوي، وهذا سوف يستغرق وقتًا طويلًا. صمت لحظة، ثم قال: إنني أحاول أن أعرف ما تحتاجه بلاد الشرق الأقصى من إنتاجنا. في نفس الوقت أُحاول أن أعرف ماذا يمكن أن آخذ منها لبلادي.

سأل «أحمد»: هذا يعني أنك بلا صِلاتٍ تجارية مع بلاد الشرق الأقصى؟

لم يردَّ «جارو» مباشرة، لكنه قال بعد لحظة: إن معي بعض الأسماء التي سوف أتصل بها والتي تتعامل مع أبي. لم يستمرَّ «أحمد» في أسئلته؛ فقد قال له بعد لحظة: هل أتركك تُكمِل القراءة؟

ابتسم «جارو» وهو يقول: لقد كنت أقرأ فقرةً معيَّنةً مثيرة. أعتقد أنني سوف أفرغ منها فقط.

قال «أحمد» وهو يبتسم: إذن أكمل القراءة؛ فقد قرأته ولي بعض الملحوظات على ما يحويه. نظر له «جارو» في دهشة، ثم سأل: ملحوظات على ما يتحدَّث عنه الكتاب! إن هذه مسألة مثيرة حقًّا!

ابتسم «أحمد» ابتسامةً عريضةً وهو يقول: لا بأس من الحديث حوله عندما تنتهي من القراءة. ظلَّ «جارو» ينظر إلى «أحمد» في دهشة، لكن «أحمد» كان قد جذب إحدى المجلات، وتظاهر بأنه سوف يستغرق فيها، في نفس الوقت الذي كان يفكِّر فيه، وكانت أفكاره كلها تدور حول سؤالٍ واحد: هل هذه هي البداية؟

عندما غرق «مصباح» في الضحك

ألقى «أحمد» بنظرةٍ جانبية على «جارو»، فرآه مستغرقًا في القراءة تمامًا. أخذ يتصفَّح المجلة في هدوءٍ وبطء؛ فقد كانت أفكاره كلها تدور حول «جارو»، وما يمكن أن يعرفه عنه. إن عمله في التجارة مع والده، ثم رحيله من اليونان إلى الشرق الأقصى، واهتمامه بما في الكتاب، ثم الدهشة التي ظهرت على وجهه عندما عرف اهتمام «أحمد»، قال في نفسه: لعل «فهد» و«مصباح» قد حصلا على شيء.

امتدَّ الوقت ولم يَفرغ «جارو» من قراءته. نظر «أحمد» نظرةً جانبيةً عليه فرآه لا يزال مستغرقًا فيه.

قال في نفسه: إن هذه مسألةٌ غريبة، أن يكون له كل هذا الاهتمام بالقراءة في موضوع «الأفيون». لا بد أن يكون خلفه شيء. عاد من جديد إلى المجلة التي في يده، وأخذ يتصفَّحها، لكنه ظلَّ يفكِّر في «جارو». جاءته رسالة فاستقبلها في هدوء. كانت الرسالة من «فهد» تقول: «الرجل في طريقه إلى «بانكوك»، والحديث عن قبائل «الإيكوس»».

قال «أحمد» لنفسه: بدايةٌ طيبة، ومن يدري فقد يأخذنا إلى هناك؟

ردَّ على «فهد»: «بدايةٌ طيبة، استمر!» في نفس اللحظة كان «جارو» قد مال ناحيته قليلًا، وهمس مبتسمًا: هل أقطع عليك استغراقك؟ ... نظر له «أحمد» بابتسامة رقيقة، وقال: لقد كنت أفكِّر في لحظة الفجر. ابتسم «جارو» هو الآخر وقال: إنها لحظةٌ بديعة. توقَّف لحظة، ثم أضاف: لعلك لم تشاهدها مع البحر مرة.

أجاب «أحمد»: بل رأيتها كثيرًا؛ فإنني أهوى هذه اللحظة، والبحر يعطيها معنًى أعمق.

اتسعت عينا «جارو» وقال: أنت شاعرٌ فيما يبدو.

قال «أحمد»: إنني فقط أعشق الشعر.

ظلَّ الحوار بينهما يدور في جوانب شتى دون أن يصل إلى الكتاب أو الأفيون، لكن هذه المسألة لم تكن صعبةً بالنسبة لـ «أحمد»؛ فمن خلال الحديث في الشعر تحدَّث عن الشرق وجماله، والطبيعة، والخضرة، والأنهار والجبال، ثم قال في النهاية: غير أن هناك من يعتدون على الجمال، فيحوِّلون الخضرة إلى زراعة السموم، ويحوِّلون الفجر الجميل إلى بداية القضاء على الإنسان. تنهَّد «جارو» وهو يقول: هذا صحيح، لقد قرأتُ في كتابك الصغير المثير أشياء غريبةً عن هذه الزراعة القاتلة، في تلك المناطق الجميلة. قال «أحمد»: لقد تمنَّيت أن أذهب إلى هناك لأرى ما يحدث؛ فهذه مسألةٌ مثيرة للغاية. قال «جارو»: إنني أيضًا أتمنَّى ذلك. صمت لحظة، ثم أضاف: إنني أستطيع أن أحقِّق هذا فعلًا؛ فسوف ألتقي ببعض التجار ذوي الشأن في «بانكوك»، ويمكن عن طريقهم أن أفعل ما أتمنَّاه ... لم يردَّ «أحمد» مباشرة، لكنه في نفس الوقت عرف أنه فتح الطريق أمام «جارو» ليتحدَّث. استمرَّ «جارو»: إنها تجارة غريبة هذه التجارة التي تقضي على الناس في النهاية. ثم نظر إلى «أحمد» في إمعان، ثم قال: ينبغي أن نتبادل التليفونات، أو العناوين؛ لنلتقي في «بانكوك».

لم يردَّ «أحمد» مباشرة؛ فقد كان يفكِّر: إنه حتى الآن لا يعرف أين سوف ينزل، ولا ما هي أرقام التليفونات التي يمكن أن يوجد فيها، لكنه فكَّر في نفس اللحظة أن يعطيه رقم تليفون عميل رقم «صفر»، لكنه تردَّد في هذه المسألة؛ فتليفونات العملاء سرية لا يعرفها سوى الشياطين. قال: إنني حتى الآن لم أحدِّد الفندق الذي سوف أنزل فيه؛ ولذلك فليس لي عنوان، أو رقم تليفون.

هزَّ «جارو» رأسه وقال: لا بأس، عندما ننزل هناك سوف يكون في انتظاري من سوف يصحبني، إنني ساعتها أستطيع أن أعطيك رقم التليفون الذي سوف أنزل فيه. فكَّر «أحمد» بسرعة: إن هذه فرصةٌ لا تُعوَّض، ولو أنه ظهر أمام من سيستقبل «جارو»؛ فربما كان واحدًا من الرجال الذين يعملون في هذه التجارة القاتلة، وقد تتعقَّد الأمور؛ لذلك فقد قال بعد لحظة: أعتقد أننا يمكن أن نتفق من الآن. ثم وضع يده في حقيبةٍ صغيرة، ثم أخرج خريطة، بسطها. كانت الخريطة لمدينة «بانكوك» عاصمة «تايلاند»، وعلى الخريطة موقع الفنادق، وأرقام تليفوناتها وعناوينها. أُعجِب «جارو» بالخريطة، فقال: إنها خريطةٌ بديعة، بجوار أنها مفيدة تمامًا. لم يعلِّق «أحمد» فقد كانت عيناه تجريان على الخريطة، ثم توقَّفت عند فندق «الشمس» الذي كان يبدو في مكانٍ متوسِّط من المدينة. قال: سوف أنزل في فندق «الشمس»، وها هو العنوان، وهذه أرقام التليفونات. أخرج من الحقيبة قلمًا

وورقة، ثم كتب عليها البيانات، وقدَّمها إليه، فقال «جارو»: سوف تكون فرصةً طيبةً أن نلتقي هناك، وأن نقوم بجولةٍ في المدينة، أو في المنطقة كلها.

جاء صوت مذيعة الطائرة يقطع حديثهما، كانت تطلب ربط الأحزمة لأن الطائرة سوف تنزل بعد قليل في مطار «نيودلهي» ... نظرا إلى بعضهما، ثم ضحكا معًا، قال «جارو»: لقد انقضى الوقت سريعًا. ردَّ «أحمد»: إن الزمالة الطيبة تساعد على السفر. ابتسم «جارو» وشكره لهذه المجاملة الرقيقة. بعد قليلٍ كانت الطائرة قد بدأت تخفض من ارتفاعها. نظر «جارو» من النافذة التي بجواره، ثم قال: الليل! نظر «أحمد» هو الآخر، لم يكن هناك شيء يبدو في الخارج، لكن شيئًا فشيئًا عندما بدأت الطائرة تأخذ طريق النزول، ظهرت الأضواء اللامعة في ليل «الهند»، لكنه كان واضحًا أن المطر غزير. علَّق «جارو» على ذلك، فقال «أحمد»: إنها منطقةٌ استوائية تزداد فيها الحرارة ويزداد المطر أيضًا. صمتا مرةً أخرى بينما كانت الطائرة تأخذ طريقها على الممر الأسفلتي اللامع بتأثير المطر حتى استقرَّت أخيرًا. قال «جارو»: لعلنا لا نتأخَّر. ابتسم «أحمد» وقال: إن المسألة لن تختلف كثيرًا. إنه الليل في النهاية سواء في «الهند» أو في «تايلاند».

وكما تمنَّى «جارو» لم تنتظر الطائرة طويلًا؛ فبعد نصف ساعة كانت ترتفع مرةً أخرى في طريقها إلى محطتها النهائية؛ مطار «بانكوك». وعندما وصلت هناك كان الجو مختلفًا تمامًا؛ كانت السماء صحوًا، والنجوم تلمع بشدة، وقد قال «أحمد» ساعتها: إنها مثل اللآلئ المتناثرة على قطعةٍ من القطيفة السوداء.

ضحك «جارو» طويلًا وهو يقول: بالتأكيد أنت شاعر حتى لو أخفيت ذلك ... بدأ الركاب يغادرون الطائرة. كانت نسمةٌ باردة قد أخذت تنتشر في الجو جعلت «جارو» يرتعد، إلا أن «أحمد» قال: بعد قليلٍ سوف تتآلف مع الجو. أخذ الجميع طريقهم إلى صالة المطار الداخلية، وكان الشياطين يرقبون «أحمد» وهو يمشي مع «جارو» وكأنهم لا يعرفونه. كانت الصالة خاليةً تقريبًا في هذا الوقت المتأخِّر من الليل؛ فقد كانت الساعة تشير إلى الرابعة صباحًا. فجأةً تردَّد اسم «جارو» من خلال ميكروفون المطار يطلب منه الانضمام إلى مكتب الاستعلامات ... حيَّا «أحمد» وهو يقول: لعله واحدٌ في انتظاري. صمت لحظة، ثم أضاف: هل تصحبني؟ ابتسم «أحمد» قائلًا: سوف أنتظر تليفونك. انصرف «جارو» بينما ظلَّ «أحمد» يراقبه. ألقى نظرةً سريعةً على الشياطين فوجدهم في انتظاره. اتجه إلى خارج المطار، فاتجهوا مثله، وفي الخارج قال «أحمد» عندما اجتمعوا: ينبغي ألَّا يرانا معًا فقد نحتاجه في وقتٍ آخر. ألقى «رشيد» نظرةً على السيارات المنتظرة أمام المطار،

كان من بينها سيارة «كمارو» زرقاء، ابتسم قائلًا: لقد سبقتنا السيارة وهي في انتظارنا! نظروا جميعًا في الاتجاه الذي تحدَّث عنه «رشيد»، ثم اتجهوا إليه، وفي لحظةٍ كانوا داخل السيارة. ظلَّ «أحمد» يرقب باب الخروج من المطار في انتظار أن يظهر «جارو». مرَّت دقيقتان، ثم ظهر. كان يصحبه رجلٌ قصير القامة، نحيف تمامًا، أبيض الشعر، يلبس نظارةً بيضاء، وله ذقن. أخرج «أحمد» الكاميرا السرية الخاصة به، ثم التقط لهما عدة صور متتالية. اتجه «جارو» والرجل إلى سيارةٍ قريبة، ثم اختفيا داخلها، وعندما انطلقت، تبعتها سيارة الشياطين. كان الهدوء شاملًا حول المطار، وفي الطريق الموصل إلى المدينة؛ ولذلك فإن السيارات كانت تسير بسرعةٍ كبيرة. كان الطريق متسعًا تمامًا، تحفه الأشجار، وتجعله الأضواء مثل النهار. أخذ «أحمد» يقدِّم لهما ملخَّصًا للأحاديث الطويلة التي دارت بينه وبين «جارو»، وعندما انتهى بدأ «فهد» يتحدَّث عن الشخصية الغامضة، والتي عرَّفها باسم «منج». ابتسم «أحمد» وقال: وأنا اسمي «مانجا». ثم تحدَّث «مصباح» عن جاره الذي تعرَّف إليه ويُدعى «روبرت». أمَّا «باسم» فقد قال: لقد كنت أجلس إلى الصمت نفسه، وبرغم محاولتي معه إلا أنه ظلَّ صامتًا ... حتى إنه لم يُجِبني بكلمةٍ عندما نزلنا من الطائرة. علَّق «فهد»: من يدري؟ قد يكون هذا الصامت أهم الشخصيات التي قابلناها.

كانت سيارة «جارو» لا تزال أمامهم، واضحةً بأضوائها في الليل الهادئ، غير أن المدينة قد بدأت تظهر. كانت المدينة هادئةً أيضًا. أخرج «أحمد» الخريطة، ثم بدأ يوجِّه «رشيد» الذي قال فجأة: لقد اختفت سيارة «جارو». قال «أحمد» دون أن يرفع بصره عن الخريطة: لا بأس، المؤكَّد أنه سوف يتحدَّث غدًا. انحرف «رشيد» بالسيارة في اتجاه شارع «كاريجي»، حيث يقع فندق «الشمس»، ثم توقَّفت السيارة أمامه. نزل الشياطين بسرعة واتجهوا إلى الداخل. كان موظَّف الاستعلامات يبتسم ابتسامةً عريضة يستقبلهم، كان رجلًا دقيق الحجم، متوسط السن، وعندما قدَّم «أحمد» نفسه كان الخادم يتناول مفاتيح الحجرات ويتقدَّمهم إليها، في دقائق كانوا في حجرة «أحمد» الذي قال: ينبغي أن ترتاحوا بقية الليل لأننا سوف نبدأ عملنا في الصباح. انصرف الشياطين ولم ينسَ «أحمد» قبل أن ينام أن يتحدَّث إلى موظَّف الاستعلامات يطلب منه أن يعطيه المكالمات التليفونية التي تأتي باسم السيد «مانجا». وعندما وضع السمَّاعة وضع أيضًا رأسه على الوسادة، ثم استغرق في النوم.

استيقظ الشياطين متأخرين؛ فعندما فتح «أحمد» عينَيه ونظر في ساعة يده كانت تشير إلى التاسعة. تمطَّى في كسل، وقال في نفسه: لا بأس من الراحة. إن الرحلة إلى جبال

«يون-آن» سوف تكون شاقة. دقَّ جرس التليفون فرفع السماعة، وجاء صوت «باسم»: يبدو أن النوم هنا له طعمٌ مختلف!

ضحك «أحمد» وقال: نعم، نومٌ مخلوطٌ بالأفيون. ضحكا معًا. في دقائق كانوا قد اجتمعوا حول عددٍ من السندوتشات. وفي دقائق أخرى كانوا قد انتهَوا منها، ثم أخذوا طريقهم إلى الخارج. مرةً أخرى تحدَّث «أحمد» إلى موظَّف الاستعلامات، وكان رجلًا آخر غير رجل الليل، وطلب منه أن يسجِّل له مذكرةً بما يمكن أن يقوله السيد «جارو» إلى السيد «مانجا».

خرج الشياطين إلى شوارع «بانكوك». كانت الألوان الزاهية تلمع في كل مكان، وكانت تماثيل «بوذا» منتشرةً بشكلٍ لافتٍ للنظر.

لم يكن الشياطين يفكِّرون في شيءٍ ما الآن؛ فقد كانت خطتهم أن ينتظروا مكالمة «جارو» قبل أن يقرِّروا قرارهم الأخير؛ ولذلك فقد قضَوا بعض الوقت في شوارع المدينة الجميلة، وتناولوا طعام الغداء المكوَّن من السمك في أحد المطاعم، ثم عادوا إلى الفندق. وكانت المفاجأة عندما رآهم موظَّف الاستعلامات، أسرع نحوهم وقدَّم لهم خطابًا، لم يكن على المظروف سوى اسم «جارو». أسرع «أحمد» يفتح الخطاب، وكانت الكلمات التي قرأها بسرعةٍ كفيلةً بأن ترسم على وجهه علامات الحزن، حتى إن «مصباح» قال: ماذا حدث؟! لم يردَّ «أحمد»؛ فقد كان موظَّف الاستعلامات لا يزال واقفًا، عندئذٍ رفع الرجل عينَيه قائلًا: هل من خدمةٍ أؤديها؟

قال «أحمد» في هدوءٍ: ألم يقل شيئًا آخر؟

قال الرجل: لقد جاء السيد «جارو» مرتَين، وفي النهاية كتب هذا الخطاب، ولم يقُل سوى أنه سوف يحاول الاتصال إذا تمكَّن من ذلك، وإذا لم يستطِع فسوف يحاول عندما يعود.

شكره «أحمد» فانصرف بانحناءةٍ مهذَّبة. اتجه الشياطين إلى أحد الأركان في الصالة الواسعة، كانت عيونهم متعلِّقةً بما سيقوله «أحمد» الذي كان الحزن لا يزال يرتسم على وجهه. في النهاية قدَّم الخطاب إلى «رشيد» الذي أخذه مسرعًا، وفي لحظةٍ كان الحزن يكسو وجهه، حتى إن «باسم» أمسك الخطاب وجذبه وهو يقول: معذرة، لا بد أن أعرف!

جرت عيناه على السطور، وبدلًا من أن يكون الحزن على وجهه، غرق في الضحك، حتى إن الشياطين نظروا إليه في دهشة، لكنه ظلَّ يضحك بلا توقُّف، وكانت هذه مسألةً محيِّرة، خصوصًا لـ «مصباح» و«فهد» ...

هذه هي بداية المعركة

كانت الرسالة التي تركها «جارو» والتي أحزنت «أحمد» و«رشيد»، وأضحكت «باسم» تقول: «عزيزي «مانجا»، لم أكن أتصوَّر أن ما فكَّرنا فيه معًا يمكن أن يتحقَّق بهذه السرعة. إنني الآن في طريقي إلى جبال «يون-آن» لأرى الفجر الجميل وهو يبزغ هناك. لقد تمنَّيت أن تكون معي حتى أسمع منك بعض الشعر أيها الشاعر المتخفي. ولقد جئتك أكثر من مرة، لكنني كنت سيئ الحظ فلم أجدك. أعتذر لأنني مضطرٌّ للسفر إلى هناك تبعًا لمواعيد محدَّدة من قبل. سوف أفتقدك كثيرًا، أرجو أن نلتقي بأي صورة، سوف أُحاول أن أُرسل إليك عن أي طريق. عنواني في اليونان: ٤٥ شارع كوري، وشركة أبي هي الشركة الدولية للتجارة. تحياتي وإلى اللقاء. «جارو».

قال «أحمد»: إنها فرصةٌ لا تعوَّض! ضحك «باسم» وقال: إن الفرصة الحقيقية أن نُسرع بالرحيل. إن صديقك «جارو» قد فتح لنا الطريق؛ فما دمت قد اكتسبت ثقته فإنه سوف يكون المفتاح لنا. صمت لحظة، ثم قال: لقد ضحكت لأن «مانجا» اسم طيب. كان «أحمد» يفكِّر أكثر ممَّا يسمع. لقد كان ضحك «باسم» مفتاحًا لأن يستفيد من الرسالة أكثر، قال فجأة: ينبغي أن نسرع إلى حجرتي، ثم نستعد للرحيل.

في لحظاتٍ كانوا في حُجرة «أحمد» الذي قال: سوف أُرسل إلى رقم «صفر» بعنوان «جارو» في اليونان، واسم شركة أبيه. إنها يمكن أن تكون الطريق.

أخرج جهاز الاستقبال، ثم أرسل رسالةً إلى رقم «صفر» بالمعنى الذي قاله للشياطين، وقال في النهاية: «إننا في طريقنا الآن إلى جبال «يون-آن».

في دقائق كانت السيارة «الكامارو» الزرقاء المجهَّزة بكل الإمكانيات تأخذ طريقها إلى جبال «يون-آن» التي تقع في شمال «تايلاند». كان «رشيد» يجلس إلى عجلة القيادة، وكان

«أحمد» بجواره يفتح خريطةً صغيرةً حدَّد عليها اتجاه الجبال بالضبط، ثم ضبط بوصلة السيارة على الاتجاه الذي يتبعه «رشيد»، وقال: اتبع مؤشِّر البوصلة؛ إنه سوف يوصلنا إلى هناك!

كان الوقت حوالي العصر، وكانت شوارع «بانكوك» مزدحمةً بألوانٍ مختلفة من البشر؛ أهالي البلاد، وسُوَّاح من كل مكان، غير أن ذلك لم يمنع السيارة من التقدُّم بسرعة. انقضت ساعة عندما بدأ الخلاء يظهر. كانت الطبيعة حولهم آسرةً تمامًا، فاستغرقوا في التمتُّع بها، وعندما بدأ الليل يزحف على الوجود، كانت السيارة تقطع الطريق في سرعةٍ كبيرة، وحيدة، كأنها لا تخضع لأحد. فجأةً هتف «رشيد»: هناك سيارةٌ أمامنا تظهر وتختفي تبعًا لمنحنيات الطريق.

أخرج «أحمد» نظارته المكبرة الكاشفة، وبدأ يمسح الطريق. عند استقامة جزء منه ظهرت السيارة أمامه بوضوح، ظلَّ يتأمَّلها ثم قال: هناك اثنان يجلسان في المقعد الخلفي، والسائق، وبجواره رجلٌ آخر.

ظلَّ يراقب السيارة، لكنها فجأةً اختفت؛ فقد انحنى الطريق. أنزل النظارة وظلَّ يرقب بعينَيه ظهور ضوء السيارة مرةً أخرى. كان «رشيد» قد رفع درجة السرعة حتى آخرها، ولم تمضِ ربع ساعة حتى كانت السيارة الأمامية قد أصبحت أمامهم مباشرة، في نفس الوقت ظهر الجبل أمامهم مرتفعًا يكاد يُخفي السماء التي كانت تلمع فيها النجوم. رفع «أحمد» النظارة وبدأ يرقب. كانت السيارة الأمامية تضيء أنوارها الداخلية، فانكشف مَن بداخلها، هتف «أحمد» في سعادة: إنه «جارو»! لكنني لست متأكِّدًا من الرجل الذي بجواره.

أخرج «مصباح» صورةً متوسطة الحجم قدَّمها لـ «أحمد» وهو يقول: أليس هذا هو الرجل؟ نظر «أحمد» للصورة بسرعة، ثم قال: هذا الرجل الذي صوَّرته بالأمس. إن الجالس بجوار «جارو» رجلٌ آخر.

سكت وهو يوجِّه النظارة إلى السيارة، ثم قال بعد لحظة: إنه يجلس في المقعد الأمامي. أضاف بعد قليل: يبدو أن الجالس بجوار «جارو» أكثر أهمية! كانت «الكامارو» الزرقاء تقترب أكثر من سيارة «جارو»، فقال «أحمد»: حافظ على مسافةٍ كافية. إننا لا نريد أن نفقد مرشدنا.

خفض «رشيد» من سرعة السيارة، ثم ظلَّ ثابتًا عليها. فجأةً توقَّفت سيارة «جارو» فتوقَّف «رشيد»، غير أنه لمح شيئًا في مرآة السيارة الأمامية، فقال: هناك سيارة أخرى

تتبعنا. استدار «أحمد»، كما استدار بقية الشياطين ينظرون إلى الخلف، فلم يرَوا شيئًا. قال «فهد»: لا يوجد شيء!

ردَّ «رشيد»: لعلها أطفأت أنوارها، والظلام كثيف.

عاد «أحمد» لمراقبة سيارة «جارو» من خلال المنظار. شاهدهم يغادرون السيارة فقال ذلك للشياطين، وظلَّ يتابع ما يدور أمامه. كان «جارو» ومن معه قد بدءوا السير على الأقدام، فقال «أحمد»: يبدو أن المنطقة غير صالحة لاستعمال السيارة.

ردَّ «مصباح»: إذن ينبغي أن نُخفي سيارتنا ونتبعهم بسرعة حتى لا نفقد الطريق. إن ما حدث في صالحنا. نزل الشياطين من السيارة وتحرَّك بها «رشيد». كانت هناك صخرةٌ جانبية مرتفعة حاول أن يدخل خلفها، لكن المسافة لم تكن كافية، فتوقَّف في مكانه. في نفس الوقت كان الشياطين يبحثون حولهم عن مكان. تقدَّم «أحمد» في اتجاه سيارة «جارو». كانت هناك منطقةٌ واسعة حولها مجموعة من النباتات العالية، وكانت السيارة تقف في جانبٍ من الطريق. أرسل إشارات يفهمها الشياطين، فاقتربوا بسيارتهم، وفي سرعةٍ أخفَوها بين النباتات تمامًا حتى لم يكن أحدٌ يستطيع العثور عليها غيرهم. اجتمع الشياطين وبدأت الرحلة على الأقدام. كان الجبل قد بدأ ولم تكن هناك طرقٌ مُعبَّدة. انحنى «أحمد» على الأرض وأخذ يتسمَّع، ثم قال: إنهم أمامنا؛ فأصوات أقدامهم تدب على الأرض. تقدَّم الشياطين في اتجاه المجموعة الأمامية، وكان تقدُّمهم سريعًا، حتى إنهم أصبحوا خلفهم مباشرة. سمع «أحمد» صوت «جارو» يقول: هل سنصل إلى قمة الجبل سيرًا؟ ردَّ صوتٌ بطيء يقول: لا ... إننا سوف نمشي حوالي كيلومتر، ثم نركب سيارةً أخرى.

كانت هذه الكلمات كافيةً ليتوقَّف الشياطين لحظة. إنهم يمكن أن يفقدوا الأثر، بجوار أن الطريق يبدو طويلًا. قال «أحمد»: إننا لم نصِل إلى درجة اليقين بعد، وهذا ما يجعل محاولتنا خلفهم مجرَّد محاولة استرشادية. ظلُّوا يتقدَّمون وهم على حذر حتى لا يصدر منهم صوت؛ فقد كانوا يلبسون أحذية «كاوتشوك». بعد قليلٍ سمع «أحمد» صوت «جارو» يقول: إنها رحلةٌ شاقة تمامًا!

ردَّ نفس الصوت الهادئ: لقد طلب الزعيم أن يراك ليحتفل بك؛ فوالدك واحدٌ من أكبر عملائه!

جاء صوت «جارو» يحمل كثيرًا من الدهشة: زعيم! أي زعيم تعني؟! ...

قال الرجل بعد لحظة بنفس البطء: إننا نطلق عليه الزعيم لأنه أقوى رجل في الجبل.

لم يردَّ «جارو»، لكن هذا كان مفيدًا بالنسبة للشياطين؛ فقد قال «أحمد»: يبدو أننا نقترب من الهدف ... صمت قليلًا يفكِّر، ثم قال: إن الطريق سوف يكون مشكلةً بالنسبة لنا؛ فالجبل سيكون مُلغَّمًا بكثيرٍ من رجال «شو-لان»، كما أننا قد نفقد الطريق لهذا. قال بعد فترة: ينبغي أن يكون بينهم واحدٌ منا. همس «مصباح»: كيف؟ ردَّ «أحمد» بعد لحظة: هذا ما يجب أن نفكِّر فيه. إن المسافة الباقية قليلةٌ حتى يصلوا إلى السيارة، وهذا يعني أننا يجب أن نتصرَّف بسرعة. قال «فهد»: إنني أستطيع أن أكون واحدًا منهم ... ما رأيكم؟

همس «أحمد»: ماذا سوف تفعل؟ قال «فهد»: نتفق، ثم دعوني أتصرَّف. جرت مناقشة هامة سريعًا، ثم اتفق الشياطين على أن ينفِّذ «فهد» خطته؛ ذلك لأن «أحمد» لا يستطيع؛ لأن «جارو» يعرفه. بدأت الخطة فقد اختفى «فهد» في الظلام، لم يكن يسير في نفس الطريق الذي يتوسَّط الجبل؛ فقد اتجه إلى حافته الخطرة، وأسرع السير. همس «أحمد»: نرجو ألَّا تلقى أي عقبة فالطريق صعب، وحافة الجبل يمكن أن تكون النهاية و... ولم يكمل كلامه؛ فقد سمع سقوط حجر أخذ يتدحرج وصوته يعلو في الصمت، وجاء صوتٌ من المقدمة يقول: ماذا هناك؟! غير أن صوتًا آخر تردَّد: لعله حجر سقط من الجبل. إنها منطقةٌ خطرة على كل حال، وكثيرون سقطوا فيها.

كانت الكلمات ثقيلة الوقع على الشياطين، وقال «مصباح»: هل يكون قد سقط؟ إلا أن «باسم» أسرع يرد: لا، لا أظن أن «فهد» يمكن أن يسقط بسهولة. ظلَّ الشياطين يتقدَّمون في نفس الوقت الذي كان فيه أصوات أقدام «جارو» ومن معه تدلهم على الطريق. قال واحدٌ منهم: ها نحن قد وصلنا. إن السيارة تقف بعيدًا قليلًا في الانتظار، هي والسائق.

مرَّ بعض الوقت، وقال الصوت الهادئ: لقد اجتزنا المنطقة الصعبة ...

سأل «جارو»: لماذا لا تمهِّدونها؟ قال الرجل بعد فترة صمت: لدواعي الأمن. ثم أضاف، وكأنه يُزيل أثر الجملة الأولى: لقد حاولنا، لكنها منطقةٌ صخرية عنيدة.

كانت الإجابة مثيرةً بالنسبة للشياطين؛ فقد همس «أحمد»: إنها لدواعي الأمن. إنها كلمات مشجِّعة ... لم يكَد ينتهي من جملته حتى كان جهاز الاستقبال يتلقَّى رسالة.

وضع «أحمد» يده على الجهاز، وأخذ يتلقَّى الإشارات المتتابعة، ثم هتف في النهاية بصوتٍ خفيض: إننا في الطريق الصحيح.

سأل «رشيد»: ماذا تعني؟ ردَّ «أحمد»: لقد وصلَت رسالة من رقم «صفر» الآن. إن تقرير العملاء في اليونان يقول إن الشركة الدولية للتجارة تعمل فعلًا في تجارة السموم.

همس «مصباح»: إذن صديقك «جارو» في الطريق إلى الرجل الغامض! غطَّى على كلمات «مصباح» الأخيرة صوت موتور سيارة، فقال «باسم»: لقد تحرَّكت السيارة. ثم قال بعد لحظة: هل يكون «فهد» قد نجح وأصبح بينهم؟ تقدَّم الشياطين حتى وقفوا في نفس المكان الذي تحرَّكت منه السيارة. لم يكن هناك أي صوت سوى صوت السيارة الذي أخذ يتباعد حتى أصبح كالهمس. تنهَّد «رشيد» وقال: ها قد بدأت الرحلة الصعبة.

صمت كل شيء، غير أن الصمت بدأت تغزوه بعض الأصوات. تسمَّع الشياطين في تركيز. انحنى «أحمد» على الأرض وظلَّ يتسمَّع، أخيرًا رفع رأسه وهمس: هناك أصوات أقدام تقترب، لعلهم رُكَّاب السيارة التي كانت خلفنا. أخذ جانبًا من الطريق واختفى خلف صخرة ناتئة على حافة الجبل. أسرع الشياطين أيضًا بالاختفاء، لكن فجأةً سمعوا صوت أنَّات إنسان يتألَّم. أخذ «مصباح» يتتبَّع الصوت؛ دار حول الصخرة، كانت هناك مسافة صغيرة بين الصخرة والهاوية، إن أي قدم تزل يمكن أن يفقد صاحبها حياته؛ فليس بعد المسافة سوى انحدار الجبل حتى النهاية. انحنى يتحسَّس الأرض فاصطدمت يده بجسد إنسان. تصوَّر للوهلة الأولى أنه «فهد». أخذ يتحسَّس جسده؛ كان مكوَّمًا على نفسه. تحدَّث إليه بلغة الشياطين إلا أنه لم يرد، قال في نفسه: ربما لا يستطيع الرد من الألم، أو ربما يكون قد فقد وعيه.

استمرَّ في تحسُّس الكتلة الإنسانية التي أمامه حتى وصل إلى وجهه؛ كان الوجه له لحية، تنهَّد في ارتياح لأنه يعرف أن أحدًا من الشياطين لا يطلق لحيته بهذه الصورة. قفز في خاطره تساؤل: هل يكون هذا الرجل هو نفسه قائد السيارة وقد استطاع «فهد» أن يفاجئه؟ أخذ يفيق الرجل حتى ردَّ في النهاية: رأسي يدور، لقد ضربني أحدهم بآلةٍ حادة على رأسي. أين السيارة؟ أين ... أين أنا؟ مدَّ يده يتحسَّس «مصباح»، ثم قال: من أنت؟ قال «مصباح»: إنني من سكان الجبل، من قبيلة «الإيكوس». سكت الرجل لحظة، ثم قال: أنتم حلفاؤنا إذن. خذ بيدي حتى أقوم. همس «مصباح»: انتظر قليلًا حتى تهدأ أكثر، وحتى تسترد قواك. قال الرجل: لا، لا. لا بد أن أجد السيارة. إنهم في الطريق. سأل «مصباح»: من هم؟ قال الرجل: ضيفٌ قادمٌ من بعيد. سأله «مصباح»: وماذا حدث؟

قال الرجل: لقد كنت في انتظاره. كان يصحبه السيد «كاواوا» لينقله إلى الزعيم.

قال «مصباح» بعد لحظة: السيد «شو-لان»؟ قال الرجل في فزع: نعم، نعم. سوف أنتهي إذا لم ... قطع عليه «مصباح» كلامه وقال: لا تخَف، إن معنا بعض الضيوف من زملاء السيد «جارو» الذي ينزل ضيفًا على الزعيم، ولا بأس أن تصحبنا إلى هناك.

هتف الرجل في فرح: يا ليت! هل معكم سيارة؟

قال «مصباح»: لا، لكنهم سوف يُرسلون إلينا سيارةً من طرف الزعيم.

قال الرجل: لا بأس، وإذا لم تصل السيارة، فإننا نستطيع أن نصل أيضًا بسرعة؛ فأنا أعرف طريقًا مختصرًا جدًّا وسهلًا للوصول إلى القصر.

قال «مصباح» في هدوء: مقر الزعيم!

ردَّ الرجل: نعم.

مدَّ «مصباح» يدَيه وأسند الرجل وهو يسأله: ما اسمك؟

قال الرجل: «شن-لي».

قال «مصباح»: وأنا اسمي «شولاي». هيَّا اعتمد عليَّ أيها الصديق «شن-لي».

تقدَّما في بطء، في نفس الوقت الذي أرسل فيه «مصباح» عدة إشارات للشياطين فاقتربوا منه. حكى لهم ما حدث بسرعة، فقال «شن-لي»: لقد كانت ضربةً قوية.

أمسك «باسم» بالذراع الأخرى لـ «شن-لي» الذي أخذ يتقدَّم في بطء ... فجأةً وصلت رسالة إلى «أحمد» من «فهد» تقول: «لا تتحرَّكوا، إنني في الطريق إليكم! هناك أنباءٌ هامة!» ... وعندما نقل «أحمد» الرسالة إلى الشياطين تأكَّدوا أنهم في الطريق إلى بداية المعركة ...

أخيرًا ... جاءت لحظة المواجهة

قال «مصباح» يخاطب «شن-لي»: هل ننتظر السيارة أو نبدأ السير؟

ردَّ في تعب: ننتظر قليلًا، فإذا تأخَّرت نقطع الطريق سيرًا.

جلس «شن-لي» فوق صخرةٍ صغيرة قريبة، ووقف الشياطين حوله. تسمَّع «أحمد» جيدًا إلى أي صوت إلا أنه لم يسمع شيئًا، قال بلغة الشياطين: يبدو أن المجموعة الخلفية تختبئ في مكانٍ ما، ربما يكون قريبًا؛ فلا يوجد صوت لهم. لم يردَّ أحد، وإن كان «مصباح» قد قال بعد لحظة: «شن-لي»، هل هنا طريقٌ آخر يوصل إلى فوق؟ ردَّ الرجل: لا، لا يوجد سوى طريق واحد لا يعرفه كثيرون؛ فهو طريقٌ سري ...

فجأةً تردَّد صوتٌ في الصمت الليلي، فقال «شن-لي»: هذا صوت السيارة، إنني أعرفه. اقترب صوت الموتور أكثر، ثم بدأت أضواء السيارة تظهر. مضت دقائق حتى ظهرت السيارة واضحةً بتأثير أضوائها. ارتفع صوت «شن-لي» يقول: أُريد أن أعرف هذا الذي استولى على السيارة! قال «أحمد»: لعله واحدٌ من طرف الزعيم. كانت السيارة قد توقَّفت، فاتجها إليها بسرعة، ما إن رأى «فهد» سائق السيارة حتى قفز إليه قائلًا: معذرةً يا صديقي «شن-لي»، لقد كانت لديَّ أوامر ولم أستطِع إلا التنفيذ. إنني حارس السيد «الضيف» ... لمعت عينا «شن-لي»، وقال بابتسامةٍ صغيرة: غير أن الضربة كانت قاسية! ...

قال «فهد» باعتذار: إنني أكرِّر أسفي، لكنها الأوامر وأنت تعرف. إن السيد «كاواوا» هو الذي أصدر الأمر.

ظهر الفزع على وجه «شن-لي» وقال: لا بأس، لا بأس. كان الشياطين قد قفزوا في السيارة الجيب الصفراء في لون الجبل، وبينهم جلس «شن-لي»، بينما كان «فهد» قد أخذ مكانه خلف عجلة القيادة. وفي لحظات كانت السيارة تأخذ طريقها إلى أعلى الجبل في سرعة، حتى إن «باسم» قال: إنك مسرعٌ جدًّا، والجبل غير مأمون.

ردَّ «شن-لي»: لا بد من السرعة، وإلا تراجعت السيارة أو سقطت. إن السائق ماهر فعلًا!

تحدَّث «فهد» إلى «أحمد» الجالس بجواره بلغة الشياطين، قال: لا بد أن نتخلَّص من الرفيق الموجود قبل أن نصل إلى القصر فقد يكشفنا ... فكَّر «أحمد» لحظة، ثم أخذ يسأل «فهد» عن القصر، ومكانه، والحراسة حوله، فعرف أن الحراسة شديدة، وأن المرور مسألة صعبة، غير أن «فهد» قال في النهاية: إنني أستطيع المرور في بساطة؛ فقد رآني الحرس وأنا أدخل مع «جارو»، وعرفوني جيدًا، وهذا سوف ينفي أي شبهة حولنا. صمت لحظة، ثم قال: ولقد أفهمتهم أن السيد «جارو» معه ضيوف سوف يصلون بعد قليل. ابتسم ابتسامةً لمحها «أحمد»، ثم أضاف: وأنتم الضيوف طبعًا. سمعا صوت «شن-لي» يقول: لقد اقتربنا ... أمامنا كيلومتر واحد.

كانت الجملة كافيةً ليتخلَّص منه الشياطين. تحدَّث «أحمد» إلى «مصباح» الذي كان يجلس بجوار «شن-لي» مباشرة، وفي دقيقةٍ كان الرجل يمسك فخذه وهو يقول: إن الحشرات هنا كثيرة، لقد وخزتني حشرة منها. بعد نصف دقيقة كان يسقط بين ذراعي «مصباح». أوقف «فهد» السيارة، وفي هدوء حمله «مصباح» و«باسم» إلى صخرةٍ عند حافة الجبل، ثم قيَّداه وأرقداه في هدوء، وعادا بسرعة. انطلق «فهد» مرةً أخرى، كانت السيارة مسرعةً تمامًا؛ ففي نفس الوقت كان الطريق مخيفًا؛ فقد كان يتلوَّى كثعبانٍ مسرع ... بعد قليل ظهرت أضواءٌ شاحبة، فقال «فهد»: هذه أول نقطة من نقط الحراسة. تحفَّز الشياطين؛ فهم على استعدادٍ الآن للاشتباك. وصلت السيارة فظهر أحدهم يسد الطريق، تحدَّث إليه «فهد» في جملٍ سريعة، فرفع يده بالتحية، وأشار إليه أن يستمر ... قال «رشيد»: يبدو أن «فهد» قد أصبح من رجال «شو-لان»! ابتسم الشياطين لهذه الدعابة. مرةً أخرى ظهرت نقطة حراسة أخرى، فقال «فهد»: إنهم هنا أقل في العدد الذي يتناقص مع كل مرة! ظهر الحارس يسد الطريق ويرفع يده علامة التوقُّف ... تحدَّث إليه «فهد»، استمع الرجل قليلًا، ثم قال: حسنًا ... استمر.

عندما اقتربت السيارة من النقطة الأخيرة قال «فهد»: إن هذه هي النقطة الصعبة؛ فلولا ظهور «كاواوا» معنا في المرة السابقة لَمَا استطاع «جارو» الدخول، حتى ولا الرجل الهام الذي معه، والذي يُدعى «كيكي» ... إن «كاواوا» هو رجل الحرس هنا! ...

ظهر حارسان معًا، كان كلٌّ منهما يحمل مدفعًا رشاشًا في كتفه. قال «فهد» بسرعة: ينبغي أن نستعد لأي شيء. تحفَّز الشياطين، واقترب «فهد» أكثر، حاول أن يعرف

الحارسَين، لكنه فهم بسرعةٍ أن الحراسة قد تغيَّرت، وأن هذَين حارسان جديدان. قال له أحدهما: إلى أين؟ ...

ردَّ «فهد»: إلى داخل القصر ...

سأل الرجل: وأين السائق «شن-لي»؟

قال «فهد»: لقد أصابه مرضٌ مفاجئ. صمت الرجل لحظة، ثم قال: أنتم لستم من هنا! ردَّ «أحمد» بسرعة: نحن زملاء السيد «جارو»، وهو في لقاء الزعيم الآن. نظر له الرجل بحدة، ثم قال: ليست عندي أوامر. صمت لحظة، ثم أضاف: انتظروا ... انسحب الحارس، بينما ظلَّ الآخر واقفًا وهو ينظر لهم في شراسة. اختفى الحارس الأول داخل حجرةٍ على جانب الطريق عند بداية حديقةٍ واسعة لا تظهر منها سوى أشجار عالية. همس «أحمد» في سرعة: إنها فرصتنا؛ فقد ننكشف ونفقد كل ما أنجزناه! مرَّت لحظة، ثم أرسل «أحمد» إشارةً بطريقةٍ معيَّنة، فهم الشياطين أنها إشارة للاستعداد، لحظة، ثم دقَّ دقتَين على باب السيارة، ففهم «باسم» ماذا يُريد. وفي هدوء كان كل شيء قد انتهى، وقبل أن يظهر الحارس الأول كان الثاني يرقد ممدَّدًا على الأرض بتأثير حقنةٍ مخدِّرة أطلقها «باسم»، وفي لمح البصر كان الشياطين قد قفزوا وحملوا الحارس وأخفَوه، ثم انتشروا بسرعة. كان «أحمد» قد قفز قفزتَين أصبح بعدهما خلف حُجرة الحراسة، وفي نفس اللحظة التي كان فيها الحارس الأول يخرج منها، قفز «أحمد» في الهواء، ثم ضربه بقدمه ضربةً قويةً جعلته يسقط على الأرض قريبًا من «فهد»، الذي كان لا يزال بجوار السيارة. عاجله بقدمٍ أخرى جعلته يئن من الألم، وبسرعةٍ حمله إلى السيارة، وأوثق يدَيه وقدمَيه وكمَّم فمه، ثم ركب السيارة، وأوقفها في مكانٍ مظلم لا تجعل أحدًا يفكِّر في الوصول إليها.

وكالقط كان يقطع المسافة في رشاقة، حتى أصبح بجوار «أحمد» عند الحجرة، ولم يكن أحدٌ هناك. كان الشياطين فقط قد تجمَّعوا.

قال «أحمد» بسرعة: ننقسم إلى مجموعتَين؛ «باسم» و«مصباح» و«رشيد» معًا ... و«فهد» وأنا معًا. علينا أن نبدأ بسرعة ...

اختفى الشياطين في الظلام، كانت الحديقة واسعةً تمامًا، ولم يكُن القصر قريبًا. أسرع «أحمد» و«فهد» جريًا. كانت الممرات مغطاةً برملٍ ناعم ساعد على حركتهما. وفي أقل من ربع ساعة كان القصر أمامهما. تنسَّم «أحمد» الهواء لحظة، ثم قال: يبدو أن هناك رائحةً غير مألوفة. تشمَّم «فهد» هو الآخر، لكنه فجأةً وضع يده على كتف «أحمد» وهو يقول في إجهاد: إن الدنيا تدور. ثم سقط على الأرض ... أسرع «أحمد» بوضع الجهاز

الواقي على أنفه؛ فقد بدأ يشعر هو الآخر بنفس الشعور. أخذ يفيق «فهد» الذي كان قد فقد وعيه تمامًا، أخرج زجاجةً صغيرةً من حقيبته، ووضع حبةً منها في فم «فهد»، في نفس الوقت وضع الجهاز الواقي على أنفه أيضًا. مرَّت لحظات، ثم بدأ «فهد» يفيق، قال بإجهاد: ماذا حدث؟ ...

فهم «أحمد» ما حدث، فقال: يبدو أن لحظات الفجر قد اقتربت ... وما يحدث هو نتيجة جَمْع المادة المخدِّرة من النبات الآن ... ثم نظر في ساعة يده، ثم قال: فعلًا إن الفجر على الأبواب.

استردَّ «فهد» وعيه، فانطلقا واقتربا من القصر، لكنهما توقَّفا فجأة؛ فقد وصلتهما أصوات. أخذا يتسمَّعان، كانت الأصوات تتحدَّث عن الحارسَين اللذَين اختفيا. همس «فهد»: إذن لقد انكشف الموقف.

قال «أحمد»: لا يهم ... المهم أن نصل إلى «شو-لان» بسرعة. إن ظهور «جارو» سوف يكشف كل شيء. اقتربت أقدامٌ مسرعة منهما فاختفيا بين النباتات، لكن فجأةً قال واحد: لقد قبضوا على اثنَين، واختفى الثالث. أمسك «فهد» بيد «أحمد»k ظلا مكانهما، كانت أصواتٌ أخرى تقترب، فجأةً لمحا «باسم» و«مصباح» وكانا مقيَّدَين، وحولهما عددٌ من الرجال. فكَّر «أحمد» بسرعة، ثم همس: إنها فرصتنا.

جاءت رسالةٌ إلى «أحمد»، كانت الرسالة من «رشيد» يخبره بما حدث. اقترب الرجال وبينهم «باسم» و«مصباح». أصبحت اللحظة سانحةً للتصرُّف. أخرج قنبلة دخان، ثم نزع فتيلها وألقاها بينهم، في لحظةٍ كان الدخان يخرج منها كثيفًا، حتى إن الحراس فزعوا. فهم «باسم» و«مصباح» ما حدث، وعرفا مصدرها، وبسرعةٍ كان الدخان قد غطَّى المكان، في نفس الوقت الذي انسحب فيه «مصباح» و«باسم» واختفيا في الظلام. كان المكان قد خلا تمامًا، إلا أن ما حدث كان يعني الصدام مع رجال «شو-لان»، لكن هذه لم تكن خطة الشياطين؛ إن الخطة هي «شو-لان» نفسه، إن المهم هو القبض عليه. أرسل «أحمد» رسالةً سريعةً إلى «باسم» و«مصباح»، فجاءه الرد. لقد انضمَّ إليهما «رشيد»، والثلاثة يقتربون من الباب الخلفي للقصر. كانت الرياح قد بدَّدت الكثير من الدخان، وبدأ الجو ينكشف، غير أن الشياطين كانوا قد غيَّروا أماكنهم بسرعة. تسمَّع «أحمد» لكنه لم يسمع شيئًا، همس لـ «فهد»: إن هذا السكون يعني شيئًا! وكان هذا صحيحًا؛ فلم يكد «أحمد» ينتهي من جملته حتى شعر كأن جبلًا قد سقط فوقه. وقع على الأرض، لكنه لمح في نفس الوقت رجلَين، كانا هما الجبل الذي سقط عليه، غير أنه كان سريع التصرُّف؛ فقد ترك نفسه للسقوط في نفس الوقت الذي استعدَّ فيه للرد؛ فقد قفز وهو يحملهما معًا، ورغم

أن ثقلهما لم يكن سهلًا، إلا أنه استطاع أن يُلقي بهما في الهواء. وقبل أن يسقطا كان قد لمح «فهد» مشتبكًا مع اثنَين، ما كادا يصلان إلى الأرض حتى كان قد طار في الهواء وهو يضربهما ضربةً مزدوجة جعلتهما يصطدمان معًا، ثم يسقطان على الأرض. نظر في اتجاه «فهد» الذي كان قد ضرب أحد الرجلَين فطرحه أرضًا واشتبك مع الآخر، الذي كان يبدو قويًّا، ذكيًّا؛ فقد تلقَّى ضربةً من «فهد» في ليونة، ثم سدَّد له لكمةً قويةً جعلت «فهد» يطير في الهواء، في نفس الوقت، كان الرجل يطير، وهو يسدِّد له ضربةً جعلت «فهد» يصرخ من الألم. فجأةً ظهر أربعةٌ يسدِّدون مسدساتهم، ألقى «أحمد» نفسه على الأرض وهو يسحب مسدسه ويُطلق طلقاتٍ متتابعةً في اتجاه الرجال، الذين أمطروه بوابلٍ من الرصاص، غير أن «أحمد» كان قد اختبأ خلف شجرةٍ ضخمة حمته تمامًا من الرصاص. في نفس الوقت كان قد أصاب ثلاثةً منهم إصاباتٍ مختلفةً جعلتهم ينسحبون إلى داخل النباتات. عرف «أحمد» أن المعركة سوف تتركَّز في هذا المكان، فأسرع بإرسال رسالة إلى «باسم» و«مصباح» و«رشيد» يطلب منهم الانضمام إليهما، ويحدِّد لهم المكان. كان «فهد» قد استطاع في النهاية أن يقضي على الرجل، وأرقده بين النباتات في صمت.

أرسل له «أحمد» رسالةً حتى يعرف مكانه، فرد عليه «فهد». فكَّر «أحمد» بسرعة: هل يظل داخل المعركة أو يترك الشياطين يدخلونها، وينسحب هو إلى الداخل، بحثًا عن «شو-لان»؟ لم يتخذ قرارًا سريعًا، غير أن إشارةً وصلته من الشياطين تقول إنهم الآن في نفس المكان، وتضيف: «إن الحراسة قد تضاعفت». فكَّر مرةً أخرى، ثم أرسل خطةً إلى الشياطين حتى يستعدوا. في لحظةٍ أخرج قنبلتَين؛ واحدةً صوتية، والأخرى دخانية، ونزع فتيلهما، ثم ألقاهما بقوةٍ بعيدًا عن الجميع، وفي منطقة متوسطة يمكن أن تُحدث تأثيرًا أقوى. عندما وصلت القنبلتان إلى الأرض، انفجرتا معًا. كان صوت القنبلة الصوتية عنيفًا، حتى إن «أحمد» شعر أن المكان قد اهتزَّ جميعه، في نفس الوقت كان عمودٌ من الدخان قد ارتفع في الجو بطريقةٍ مخيفة. فجأةً وكأن حديقة القصر قد أنبتت رجالًا، نظر «أحمد» حوله، وأحسَّ أن المسألة لم تكُن كما فكَّر، وأن ما حدث كان أكبر بكثيرٍ ممَّا تصور، لكن هذا لم يكن داعيًا لليأس؛ فقد اتخذ قراره النهائي.

«شو» يتحدَّث إلى «أحمد»

بسرعةٍ أرسل خطةً إلى الشياطين، كانت هي الخطة «ح». فجأةً انطلق سيلٌ من الرصاص في اتجاهاتٍ متعدِّدة، وكانت الطلقات متبادلة حتى غطَّت المكان كله. فهم «أحمد» أن الشياطين قد بدءوا تنفيذ الخطة. وفي هدوء زحف على الأرض منسحبًا من المكان. عندما اقترب من باب القصر وجده مُغلقًا. فكَّر قليلًا، ثم أخرج من حقيبته جهازًا صغيرًا، ثبَّته على فُوَّهة مسدسه، ثم ضغط الزناد، فانطلق شعاع غير مرئي وجَّهه إلى الباب، فانفتح في هدوء. دخل بسرعة، لكنه لمح عدة أشخاص يتحرَّكون. كان كل شيء يبدو عاديًّا. اختفى خلف ستارة سميكة تغطِّي إحدى الشرفات، وبدأ يراقب. كان يرى الخدم وهم يتحرَّكون وكأن لا شيء بالخارج، أو كأن القصر معزول عزلًا تامًّا. فجأةً رأى «كاواوا»، كان يتقدَّم في هدوء ويبدو مفكِّرًا، قال في نفسه: هل «جارو» مع «شو-لان» الآن، أو إنه نائم؟

اختفى «كاواوا». خرج «أحمد» من خلف الستارة وتقدَّم في بطء، فجأةً وجد أمامه رجلًا، ولم يكن أمامه سوى الاشتباك معه. هاجم الرجل بسرعة حتى لا يعطيه فرصة التصرُّف. ضربه يمينًا مستقيمة جعلت الرجل يتراجع حتى يصطدم بالحائط. وقبل أن يسقط تلقَّاه بين ذراعَيه، ثم جرَّه إلى حيث توجد الشرفة، فأزاح الستارة قليلًا، ثم أخفاه. التفت بسرعة، ثم قفز إلى منتصف المكان. كانت هناك صالة واسعة تتوسَّطها منضدة أنيقة فوقها فازة ثمينة، وكانت الجدران تحمل صورًا زيتيةً للحقول والخضرة. رأى ذلك كله في نظرةٍ واحدة. ظلَّ يتسمَّع لعله يسمع صوتًا، لكن الأرض كانت كلها مغطاةً بسجادٍ سميك يمنع أي صوت للأقدام. رصد المكان. كانت أمامه طرقة طويلة لا يوجد فيها سوى بعض التماثيل قفز إليها في رشاقة حتى اجتازها. كانت هناك قاعة واسعة تمامًا، مؤثثة بأثاثٍ فاخر، لكن لا يوجد أحد. فكَّر: أين اختفى «كاواوا»؟ إنه اتجه إلى نفس المكان. انتظر بعض الوقت لكن لم يظهر أحد، ولم تكن الأصوات في الخارج تصل إليه. لمح في نهاية القاعة بابًا

مغلقًا. أسرع إليه فعرف أنه باب مصعد. ضغط الزر، وفي لمحةٍ كان المصعد أمامه. فتح الباب، ثم دخل. لم يكن في القصر سوى طابقَين علويَّين. ضغط أول زر فانطلق المصعد في لمح البصر، وعندما توقَّف عند الطابق الأول فتح الباب بسرعة، لكن شيئًا لم يظهر. كان النظام في الطابق الأول يكاد يكون هو نفسه نظام الطابق الأرضي. عاد إلى المصعد، وقبل أن يضع يده على الزر تحرَّك، وعرف أن أحدًا استدعاه، وصعِد المصعد إلى الطابق الثاني. التصق «أحمد» بجدار المصعد وتحفَّز للقاء أي إنسان. توقَّف عند الطابق الثاني وفتح الباب، فجأةً ظهر ما لم يكن يتوقَّعه؛ لقد كان «جارو»! كاد «جارو» يصيح من دهشته، لكن نظرة «أحمد» إليه جعلته يصمت، في نفس الوقت كان صوتٌ بالخارج يقول: لقاؤنا بعد نصف ساعة لنذهب إلى هناك. ردَّ «جارو» بابتسامة: نعم أيها السيد «كاواوا»! أغلق باب المصعد، فضغط «أحمد» زر الطابق الأول وهمس: أليست هذه مفاجأةً أيها الصديق «جارو»؟!

همس «جارو»: إنها مفاجأة لم أفكِّر فيها أبدًا أيها الصديق «مانجا»! كان المصعد قد توقَّف عند الطابق الأول، فهمس «أحمد»: هل تنزل هنا؟ كان «جارو» ينظر في دهشة، فلم يرد. كرَّر «أحمد» السؤال فقال «جارو»: نعم، سوف أستبدل ثيابي لأصحب السيد «شو-لان».

قال «أحمد» بسرعة: وأين هو؟ لم يُجِب «جارو» مباشرة؛ فقد سأل: كيف استطعت الوصول؟ ابتسم «أحمد» وقال: هيا نخرج أولًا، ثم نتحدَّث. إنها قصةٌ طويلة. فتح الباب فخرج «جارو» أولًا. ألقى «أحمد» نظرةً سريعة، فشاهد اثنَين يقفان أمام المصعد، وفي هدوءٍ تقدَّم، فظهرت الدهشة على وجه الرجلَين، إلا أن «جارو» قال بسرعة: صديقي السيد «مانجا».

نظر الرجلان له في شك، ثم تقدَّم أحدهما، فسار «جارو» و«أحمد» خلفه. في نفس الوقت كان الرجل الثاني يسير خلفهما. كان «أحمد» يمشي في حذرٍ من حدوث شيء لا يتوقَّعه؛ فقد بدا وجوده غريبًا. وقف الرجل أمام باب حجرة انفتح وحده، فدخل «جارو» وتبعه «أحمد»، قال الرجل: سوف أمر عليك بعد نصف ساعة. أغلق الباب، فالتفت «جارو» إلى «أحمد» قائلًا في صوتٍ خفيض: كيف وصلت؟ أجابه «أحمد» بسرعة: ليس هذا وقت هذه الأسئلة. سوف أقص عليك كل شيء عندما نعود إلى «بانكوك». حدِّثني أنت، هل التقيت بـ «شو-لان»؟

صمت «جارو» قليلًا، ثم قال: ليس بعد. كادت الدهشة تظهر على وجه «أحمد» لكنه استطاع أن يخفيها، وسأل: ومتى تلقاه؟ …

سأل «جارو»: هل يهمُّك هذا؟ ابتسم «أحمد» وقال: بعض الشيء، لقد قرأت كثيرًا عنه، وأتمنَّى أن أراه.

قال «جارو»: بالرغم من أنني لا أفهم شيئًا ممَّا تفعله إلا أنني سأقول لك، سوف ألقاه بعد نصف ساعة في قصره الخاص.

ظهرت الدهشة على وجه «أحمد» وهو يسأل: قصرًا آخر غير هذا؟!

أجاب «جارو»: نعم!

سأل «أحمد»: وأين هو؟

قال «جارو»: لا أدري، لكنه في نفس المكان.

فكَّر «أحمد»: هل يصحب «جارو» إلى لقاء «شو-لان»، أو إن هذه تكشفه، خصوصًا وأن «كاواوا» هو الذي سوف يأخذ «جارو» إليه!

كان «جارو» يبدو حائرًا أمام وجود «أحمد»، في نفس الوقت فإن «أحمد» كان يفكِّر في شيءٍ آخر، قال «جارو» فجأة: صدِّقني، لقد بدأت أشك فيك. نظر له «أحمد» مبتسمًا، ثم قال: عندما تعرف فإن شكك سوف ينتهي. صمت لحظة، ثم أضاف: إنني أعرف أنك شاب طيب، وما أفعله الآن لمصلحتك. أنت لا تعرف كل ما يدور هنا. وسكت، ثم قال: أسألك سؤالًا: هل تعرف فيمَ يتاجر والدك؟ اتسعت عينا «جارو»، ثم ظهرت الجدية على وجهه وقال: والدي! إذن تعني؟ قال «أحمد»: سوف لن أقول لك شيئًا الآن، إن لنا لقاءً لأشرح لك كل شيء …

كان «جارو» قد أخذ يفكِّر فيما قاله «أحمد». ابتعد عنه قليلًا وأخذ يمشي في الحجرة. كان ظهره ناحية «أحمد»، بينما فكَّر «أحمد» بسرعة: هل ينفِّذ خطته الآن؟ إنها فرصةٌ أخيرة.

في سرعةٍ أخرج حقنةً مخدِّرة، ثم اقترب في هدوءٍ من «جارو» الذي لم يلتفت إليه. كان «أحمد» يتحدَّث حتى لا يعطي له فرصةً ليفكِّر في شيء، كان يقول: إن رحلة الفجر التي ستذهب إليها رحلةٌ غير قانونية، بل إنها يمكن أن تؤدِّي بك إلى مشاكل لا تدريها.

وأثناء الحديث ضغط على الحقنة التي استقرَّت في ذراع «جارو»، فرفع ذراعه الأخرى يتحسَّس هذه الوخزة التي شعر بها. ولم تمضِ لحظة، وبينما كان يستدير ليتحدَّث إلى «أحمد» تهاوى إلى الأرض، إلا أن «أحمد» أسرع إليه وتلقَّاه بين ذراعه، ثم حمله ودخل به

إلى الحمام، وفي سرعةٍ أخرج أدوات الماكياج من حقيبته، وبدأ يختفي خلف ملامح أخرى، هي ملامح «جارو». وعندما انتهى من ذلك حمل «جارو» مرةً أخرى إلى الحجرة وأرقده فوق السرير، وبسرعةٍ أخرج ملابس خاصةً من الدولاب الموجود ولبسها، ومن حسن حظه أنها جاءت مناسبةً تمامًا. وقف أمام المرآة، ثم ابتسم. كان من الصعب أن يشك أحدٌ في أن هذا الشاب هو «جارو». قال لنفسه في ابتسامة: مرحبًا أيها الصديق «جارو»! ثم التفت إلى السرير وانحنى قليلًا وهو يقول: معذرةً يا صديقي «جارو»، إنها ضرورة العمل.

نظر في ساعة يده. كان الوقت قد حان. اتجه إلى باب الحجرة لكنه عاد مرةً أخرى إلى السرير فغطَّى «جارو» حتى لا يكاد يظهر. فجأةً سمع دقات على الباب، فقال بصوتٍ مرتفع: إلى اللقاء يا صديق «مانجا». نم جيدًا حتى أعود. قال ذلك وهو يفتح الباب حتى يسمع مَن بالخارج.

كان الرجل يقف عند الباب، فقال «أحمد» بنفس لهجة «جارو»: أرجو ألَّا يوقظ أحدٌ صديقي «مانجا» حتى أعود من زيارة الزعيم.

انحنى الرجل وهو يقول: أمرك يا سيدي. تقدَّم الرجل فسار «أحمد» خلفه حتى باب المصعد. فتح له الباب فوجد «كاواوا» داخله، كانت مفاجأةً لـ «أحمد»، لكنه تمالك نفسه. ألقى عليه «أحمد» تحية الصباح، فردَّ «كاواوا»: صباح الخير يا سيد «جارو»!

تأكَّد أن «كاواوا» لم يستطِع أن يكشفه. ضغط «كاواوا» زرًّا في أعلى جدار المصعد، فانفتح بابٌ سحري دخله «كاواوا» وهو يقول: تفضَّل! ... تقدَّم «أحمد». كانت أمامه طرقة طويلة مضاءةً إضاءةً كاملة.

مشى عدة خطوات خلف «كاواوا»، ثم نزلا عدة درجات فوجد سيارةً في الانتظار. أشار «كاواوا» له: تفضَّل. قفز «أحمد» في رشاقةٍ إلى السيارة الصغيرة التي انطلقت بسرعة البرق. كان «أحمد» وحده فقد تخلَّف «كاواوا». كان الموقف غامضًا تمامًا، ولم يكن أحدٌ في السيارة سواه؛ فهي بلا سائق. قال في نفسه: لعلها سيارة إلكترونية موجَّهة. فكَّر لحظة، ثم بدأ يرسل رسالةً إلى رقم «صفر» يشرح له ما حدث حتى اللحظة التي ينطلق فيها الآن لمقابلة «شو-لان»، وما يحدث في الخارج من اشتباكاتٍ بين رجال «شو-لان» وبين الشياطين. وجاء رد رقم «صفر»: «استمر. أهنئك!» مضت ربع ساعة والسيارة في نفس سرعتها. لم يكن شيءٌ يظهر حوله. كانت السيارة مضاءةً لكن مصابيحها الأمامية كانت بلا أنوار. فجأةً ظهرت إضاءة قوية، حتى أنه غطَّى عينَيه بيدَيه. فجأةً توقَّفت السيارة. ظلَّ لحظةً لا يتحرَّك، ثم سمع صوت باب السيارة يُفتح. نظر في اتجاهه. كان رجل قصير ينحني أمامه وهو يقول: مرحبًا بك أيها السيد «جارو»! نزل في هدوء وهو يردِّد: مرحبًا.

قال الرجل: إن السيد «شو-لان» في انتظارك.

تقدَّم الرجل فسار خلفه. كانت أمامه قاعة واسعة تمامًا تبدو غايةً في الجمال وكأنها واحدة من تلك التي يقرأ عنها في الأساطير والحكايات. مشى كثيرًا ... والمكان لا ينتهي، حتى دخل في حجرةٍ واسعة. قال الرجل: تفضَّل. سوف يكون السيد «شو-لان» هنا حالًا.

ظلَّ يتأمَّل المكان. كان كل شيء جميلًا بدرجةٍ لافتة للنظر. لفت نظره عدة ثقوب صغيرة في جدران الحجرة وإن كانت لا تظهر لأي عين. فَهِم أنها للمراقبة، وأنه من الضرورة أن تكون خلفها عدسات للتصوير. جلس في هدوءٍ ووضع ساقًا على ساق وكأن كل شيء يحدث بشكلٍ عادي. فجأةً فُتح الباب وظهر رجلٌ قصير يبدو كصبيٍ له لحية متوسطة بيضاء، يلبس نظارة، تلمع تحتها عيناه بذكاءٍ حاد، وترتسم على وجهه ابتسامة كأنه رسمها ونسيها منذ زمن. قال بصوتٍ خالٍ من أي عاطفة: أهلًا بك يا ابني. وقف «أحمد» بسرعةٍ وهو ينحني انحناءةً خفيفة ويرد: أهلًا بك يا سيدي. جلس «شو-لان» وقال: اجلس! جلس «أحمد» صامتًا، فقال «شو»: لعلها رحلةٌ صعبة. لعلك لم تنَم حتى الآن.

ابتسم «أحمد» وهو يقول: إنها رحلةٌ ممتعة.

قال «شو»: سوف تخرج في رحلةٍ أكثر متعةً الآن! انتهز «أحمد» الفرصة وأخذ يتحدَّث عن قراءته في زراعة الأفيون، ولحظات جمع المادة المخدِّرة في ساعات الفجر، ثم تحدَّث عن هذه التجارة وأرباحها، واهتمام والده بها. كان «شو» يستمع إلى «أحمد» في إنصاتٍ شديد، وإعجابٍ أشد، ثم قال في النهاية: إنك على درايةٍ تامة بكل شيء، وهذا شيء يسعدني تمامًا ... فجأةً دخل أحد الرجال فنظر له «شو» باهتمام. انحنى الرجل على أذن «شو» وأخذ يهمس له بكلمات، تغيَّر على أثرها وجهه، ثم قال في هدوء: هاتهم! فهم «أحمد» بسرعة ماذا تعني هذه الكلمة؛ لقد وقع الشياطين في قبضة رجال «شو-لان». انصرف الرجل فقال «شو»: سوف نتأخَّر قليلًا. هناك أشياء صغيرة حدثت ولا بد أن أنتهي منها قبل أن ننطلق. ردَّ «أحمد» مبتسمًا: لا بأس. في نفس الوقت كان يخفي انفعالُه خوف وقوع الشياطين. تحدَّث «شو» أحاديث متناثرةً حتى لا يفرض الصمت نفسه، وبعد دقائق دخل عددٌ من الرجال يبدو عليهم الإجهاد. نظر لهم «أحمد» لحظةً فعرف بينهم أحد رُكَّاب الطائرة. حدَّث نفسه: لعله ذلك الذي كان بجوار «فهد». رجل البوليس الخفي. ظهرت على وجهه ابتسامة وهو يقول في نفسه: لقد وقع الرجل. وقف الرجال أمام «شو-لان» الذي أخذ ينظر

لهم في هدوء. كان رجل الطائرة ينقُل عينَيه بين «شو» وبين «أحمد» الذي خشي أن يقول شيئًا. قال «شو» في هدوءٍ شديد: ماذا تريدون؟

أجاب الرجل: لا شيء ... إننا من هواة تسلُّق الجبال، ويبدو أننا فقدنا الطريق. ظلَّ «شو» ينظر للرجل، ثم قال لرجله: خذوهم الآن ... سوف أرى عندما أعود. خرج الجميع وبقي «شو» و«أحمد» وحدهما. فكَّر «أحمد»: إن هذه هي الفرصة. ها هو «شو-لان» وحده، والشياطين لا يريدون سواه!

فجأةً تردَّد صوت طلقات، نظر «شو» إلى «أحمد» نظرة تساؤل، ثم همس: يبدو أن المتاعب قد ازدادت. وقف بسرعة، ثم استدار ليخرج، وكانت فرصة. أسرع «أحمد» يسحب مسدسه ومعه حقنة مخدرة، وقبل أن يستطيع تثبيتها في المسدس كان «شو» قد التفت إليه، وعندما رأى المسدس ارتسمت الدهشة على وجهه.

وفي سرعة البرق كان يسحب مسدسًا صغيرًا من كم ذراعه الأيسر، إلا أن «أحمد» كان حذرًا تمامًا؛ فلم يعطِه الفرصة ليتصرَّف؛ فقد قفز في الهواء، وضرب المسدس من يده، غير أن «شو» الذي كان خفيفًا جدًّا طار في الهواء وضرب «أحمد» بقدمه ضربةً جعلته يتألَّم، غير أن الألم لم يمنعه من الحركة؛ لقد أسرع «شو» ليلتقط مسدسه، لكن «أحمد» كان قد عاجله بضربةٍ قوية جعلته يترنَّح. فجأةً ظهر «فهد» و«باسم» على الباب، لمحهما «أحمد» وقد ظهرت الدهشة على وجهَيهما. وقف «شو» ينظر إليهما في تردُّد. لقد أيقن الآن أنه لا يستطيع شيئًا ... قال «فهد» في دهشة: «جارو» يصارع «شو»! إنني لا أصدق! نظر إلى «باسم» وهمس: أين «أحمد»؟ ابتسم «أحمد» ابتسامةً لا تظهر، في نفس الوقت كانت قوة مسلحة قد ظهرت على الباب يتقدَّمها «رشيد» و«مصباح». وقفوا جميعًا ينظرون للموقف في تساؤل، وسأل قائد القوة: أين صديقكم؟ إنه يستحق تهنئةً خاصة.

وقفوا حائرين ولم يردَّ أحدٌ منهم، إلا أن «أحمد» ابتسم ابتسامةً عريضةً وهو ينزع الماكياج. نظر له «شو» وهو يهمس في ذهول: غير معقول! أنت لست «جارو»! في نفس الوقت انفجر الشياطين في الضحك.

تقدَّم قائد القوة يشد على يد «أحمد» وهو يقول: إن البوليس الدولي يهنِّئك على جهودك الممتازة!

تقدَّم أحد مساعدي القائد وقبض على «شو» الذي كان يقف مذهولًا. وعندما أوشك الجميع على الخروج وصلت رسالة من رقم «صفر» تقول: «لقد انتهى «شو-لان» إلى الأبد، وسوف يتخلَّص الإنسان من السموم التي كانت تقتله؛ وذلك بفضل جهود الشياطين. تهنئتي وإلى اللقاء».

أخذ الشياطين طريقهم إلى الخارج، في الوقت الذي كانت فيه الشمس تظهر في السماء لتُغطِّي الكون بأشعتها الذهبية، فقال «أحمد»: إن الفجر الجميل سوف يطلع كل يوم دون أن يكون هناك من يُشوِّه جماله بزراعة السموم ...

هنـــداوي